كلمة العدد

العولمة

ذلك الطوفان القادم

بقلم: سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

العولمة طوفان قادم . . وهي طوفان لأن أحداً لن يستطيع لها رداً أو صدا . . وهي طوفان لأنها سوف تغرق العالم كله وتغمر المعمورة دون استثناء . . والعولمة ليست استعماراً قديماً يقوم فيه ملك ما بغزو أرض أخرى حتى يحكم دولاً بدل دولة وحتى يصبح إمبراطوراً بدل أن كان ملكاً . . وهي ليست استعماراً عسكرياً تتصارع فيه الدول وتسيل فيه دماء الشعوب للسيطرة على خطوط التجارة وامتلاك مناطق المواد الخام ومد نطاق المجال الحيوي والاستيلاء على ثروات الأرض . . وهي ليست استعماراً حديثاً يفرض نمط حياة معيناً على الآخرين ويجبرهم على أن يكونوا تابعين سياسياً وثقافياً لنفوذه وهيمنته . . وهي ليست حرباً باردة تتقاسم

العالم فيها قوتان كبريان تنشر كل منهما مبادئها ونظريتها وسياستها وأهدافها . . وهي ليست نظاماً تهيمن فيه القوة الوحيدة .

هي ليست شيئاً من ذلك منفرداً ولكنها كل ذلك مجتمعاً ومن هنا كانت طوفاناً . . ومن هنا تأتي خطورتها .

العولمة نظام جديد شديد التعقيد تم الإعداد له منذ سنوات . . تباينت حوله الأقوال . . واشتد حوله الجدل واختلفت حوله الآراء تفاصيل أبعاده وحقيقة تكوينه والمخاوف المرتقبة منه كل هذه أشياء لا يستطيع أحد أن يدعي أنه يعرفها ولكن الجزء الظاهر فقط هو ما يجري الحديث حوله بتخوفاته وترقباته وتوقعاته هذا الجزء الظاهر يقول أن العولمة نظام تقوم فيه بالدور الرئيسي مؤسسات عملاقة متعددة الجنسيات ليس لها وطن ولكن وطنها هو العالم كله هذه المؤسسات اقتصادية وتجارية ومالية وثقافية واجتماعية وغيرها، بعضها يمكن مواجهته وبعضها لا يمكن التصدي له . . فما يمكن مواجهته هو الخاص بالتجارة والجمارك والسلع ولمواجهة ذلك جاءت اتفاقية الجات حتى تقضي على أية مقاومة محتملة . وفي العالم النامي – والعربي جزء منه - انقسمت الآراء حول العولمة ومازالت :

فالمتفائلون يقولون :

إن العالم قفز ويقفز قفزات تكنولوجية هائلة ومن الخطأ أن نقف في معزل منها وألا نستفيد من معطياتها في مختلف مناحي الحياة . ويقولون أن المواطن في الدول النامية عانى كثيراً من التخلف ومن حقه أن يتمتع بالثمار الدانية للتقدم العلمي العالمي بكل معطياته وهي ثمار سوف تأتي إليه في عقر داره دون أن يسعى هو وراءها، أو يلهث خلفها .

ويقولون أن العالم ومنذ وقت قد أصبح قرية صغيرة ومن الخطأ أن يقف شارع أو تقف حارة في هذه القرية بمعزل عما يجري في بقية أنحاء القرية من خير أو شر

وأن الإنسان العربي بقيمه ومبادئه وأصالته قادر على أن يوفر لنفسه من الحصانة ما يحميه من مخاطر السلوكيات القادمة مع العولمة .

ويقولون أن المنافسة التي سوف تأخذ بعداً دولياً مكشوفاً والتي سوف تضع مؤسساتنا وجهاً لوجه مع المؤسسات العالمية شديدة التقدم سوف تدفع مؤسساتنا إلى تطوير عملها وإنتاجها وسوف تشعرها أن القضية أصبحت قضية حياة أو موت وأنه لن يكون أمامها خيار - فإما إنتاج قادر على أن يشق طريقه للسوق العالمي، وإما إنتاج لا يتجاوز أبواب المخازن مع ما يؤدي إليه ذلك من إفلاس ثم موت .

والمتشائمون يقولون :

إنه من الخطأ أن نتصور لوهلة واحدة أن الإنتاج المحلي سوف يستطيع الصمود أمام الإنتاج العالمي المتقدم والمتطور على الدوام والذي تقف وراءه إمكانيات مالية عملاقة وإمكانيات فنية وتكنولوجية شديدة التقدم . ويقولون أن التكنولوجيا لن تكون متاحة كما يتصور البعض حتى يستفيد منها الجميع . وإنما سوف تحتكر الشركات الكبرى التكنولوجيا المتطورة التي تتيح لها التفوق على الدوام والنتيجة معروفة والعالم كله لن يكون أكثر من مجرد سوق كبيرة لعدد محدود من الشركات العملاقة التي تمتلك إمكانيات لا حدود لها والتي سوف تحتكر دون أدنى شك معظم الأسواق أو في أحسن الحالات سوف توزع الأسواق طبقاً لاتفاقيات سرية فيما بينها بأسلوب توزيع الغنائم .

ويقولون إن مجرد إعلانات تليفزيونية محدودة في الماضي القريب جعلت كل شباب العالم يأكل "الهامبورجر" بدل وجباته الوطنية فكيف سيكون الحال عندما تبدأ وكالات التسويق العملاقة عملها في الترويج لسلعة ما .

ويقولون أن الخطورة الأكيدة ستكون في الإنتاج الثقافي والفني، وأن العولمة سوف تنجح فيما فشلت فيه بعض مدارس الاستعمار الثقافي وأن لغة ما وسلوكاً ما

وعادات ما وتفكيراً ما سوف يُصَب صباً في عقول الأطفال والشباب والكبار وأن العالم مقبل على عصر جديد تتشكل فيه الشخصية الإنسانية طبقاً لنظريات وقيم وضعت في غرفة مغلقة في مكان ما من العالم وأن ذلك سوف يؤدي إلى مسخ الشخصية العربية وذوبانها وسوف ينشأ جيل جديد منفصل تماماً عن ثقافته وتراثه وجذوره وأصوله .

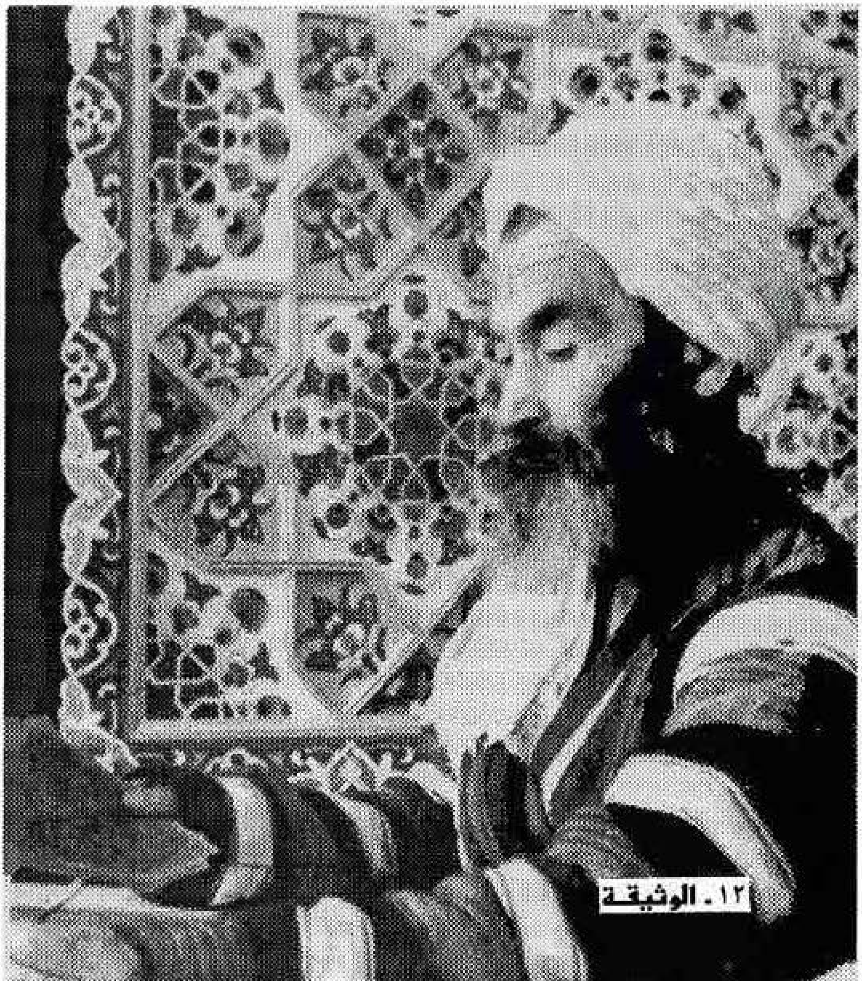
ويقولون أن العمود الفقري للعولمة هو المؤسسات العملاقة متعددة الجنسية هذه المؤسسات سوف يكون وراءها بالطبع رأسمال عملاق وصاحب الرأسمال سيكون هو المهيمن على عمل المؤسسة سواء كانت صناعية أو تجارية أو ثقافية أو إعلامية أو إعلانية فإذا وضعنا في الاعتبار أن الصهيونية العالمية تحتفظ لنفسها بالهيمنة على المؤسسات المالية العالمية فإن أصابع الصهيونية سوف تكون وراء هذه المؤسسات العولمية وأن ذلك يعني بطريق غير مباشر هيمنةً صهيونيةً على العالم كله في العصر القادم .

هذا ما يقوله المتشائمون، وما يقوله المتفائلون . ونحن بعد كل ذلك وكما قلت في بداية هذا الحديث أمام طوفان كاسح وربما يكون من الأفضل عندما لا تستطيع أن تواجه الطوفان أن تتواءم معه . . بمعنى أنه إذا كان الطوفان القادم لن يملك له أحد دفعا فلا أقل من أن نستعد بمركب قادر على أن يطفو على سطحه دون أن تغرقه أمواجه الكاسحة وهو أضعف الأيمان والحل الأول المطروح هنا وأنا أتكلم عن المنطقة العربية هو الإسراع في تحقيق التكامل العربي والبحث في تكوين مؤسسات عربية كبيرة وقوية وقادرة وموازية للمؤسسات العالمية التي تتكون حالياً تكون قادرة بحشد إمكانياتها المادية والفنية على المواجهة والتصدي والمسألة هنا لم تعد مجرد محاولة تحقيق حلم قومي وردي وإنما المسألة أصبحت قضية نكون أو لا نكون فالخطر القادم أو الطوفان القادم كبير ومواجهته فرادى أسلوب محكوم عليه بالفشل المحتوم والمنقذ الوحيد هو سفينة نوح التي تجمع الشتات المؤسسي العربي في وحدات كبيرة قوية وقادرة .

عبد الله بن خالد آل خليفة

صفحات

من العلاقات الثقافية



بقلم :
سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

بين روسيا ودول الخليج العربية

نظراً لأن روسيا بلاد أوروبية وآسيوية في نفس الوقت فليس عجيباً أن العلاقات بين روسيا من جهة وبين دول مجلس التعاون لها جذور عميقة تتجاوز تحول روسيا القيصرية إلى الاتحاد السوفييتي ومن ثم تفككه إلى دول الكومنولث الروسية المستقلة . ومن جهة أخرى هناك حقيقة تاريخية هي أن روسيا تطلعت دائماً إلى المياه الدافئة في الخليج العربي والمحيط الهندي أولاً ، في سياق التنافس الدولي في المنطقة . وثانياً ، لترويج منتجاتها التجارية فيها . وثالثاً ، لإرضاء عدد كبير من المسلمين في ولاياتها المسلمة والذين كانوا حريصين على تأدية فريضة الحج إلى الديار المقدسة والاتصال بالجاليات المسلمة المجتمعة هناك بهذه المناسبة سنة بعد سنة .

ولا شك أن العلاقات التاريخية بين روسيا ودول مجلس التعاون قديمة واستمرارا لتلك العلاقات فقد أقيمت مراكز الدراسات العربية في الكثير من معاهد الاستشراق . وظهرت طبقة مثقفة بثقافة عربية روسية قدمت الكثير من الدراسات والبحوث ونشرت الكتب ذات القيمة الأدبية والتاريخية . ولعل أقدم من كتب من العرب عن بلاد الصقالبة أو ما يسمى (ببلاد البلغار) في مطلع القرن الرابع الهجري / منتصف القرن العاشر الميلادي هو (أحمد بن فضلان) المتوفى بعد ٩٢٢م . حين أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله كأول دبلوماسي أو سفير إلى تلك البلاد فدون مشاهداته في رحلته ونعتها برسالة ابن فضلان وقد كشفت الكثير عن أحوال تلك الديار التي زارها ، خاصة على أطراف الفولجا ، وقد بعثوا برسول منهم إلى عاصمة الخلافة العباسية يرجون العون ويطلبون أن يرسل لهم من يفقههم بالدين ويعرفهم بشعائر الإسلام . وإذا كان الإسلام قد انتشر في منطقة الفولجا السفلى واعتنق كثير من أبناء دولة قازاغ الإسلام فقد انتشر في وسط منطقة الفولجا (فولتسكايا بلغاريا) وأصبح الديانة الرسمية في عام ٩٢٢م وهو العام الذي وصل فيه السفير ابن فضلان[1] . أما (ابن حوقل) المتوفى عام ٨٨٢م فهو أول من ذكر بأن الأمير (أوليغ نوفكورود) قد استولى على (كييف) ووحدها مع إمارة نوفكورود في الشمال ، وبذلك قامت أول دولة روسية موحدة هي دولة (كييف روسي) ومركزها كييف وقد دامت نحو ثلاثة قرون وهدد أميرها القسطنطينية مرارا ، فأضاف بذلك (ابن حوقل) و (ابن فضلان) إضافات للمعرفة التاريخية عن روسيا القيصرية في القرون الوسطى .

أما السائح الروسي (أفاناسي نيكيتين) فقد زار الخليج ووصف هرمز في عام ١٤٧٢م قائلا أنها مستودع كبير للسلع وفيها أناس من مختلف الجنسيات ولكنه شكا من كثرة الضرائب المفروضة على البضائع[٢] . وفي العصر الحديث ظهر الكثير من العلماء العرب ومنهم : محمد عياد الطنطاوي خريج الأزهر منذ عام ١٨٤٠م ، وقد كتب وألف ودرس ونظم الشعر ولا زال قبره معروفا في مقبرة فولكوفو الإسلامية بمدينة سان بطرسبرج .

وهناك الكثير من المستشرقين الروس ومنهم (كراتشكوفسكي) الذي كتب عن ابن فضلان في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي العربي[٣] وقد قضى كراتشكوفسكي خمسة

وأربعين عاما في دراسة وتدريس الأدب العربي وألف في ذلك أكثر من خمسمائة بحث ومقالة . ويظهر في كتابته حبه للعربية لغة وقوما بعيدا عن التعصب والدس[٤] .

وفي ١٣١٢م اعتنق (خان أوزبك) الدين الإسلامي وكان سبب اعتناقه للإسلام النزاع بين المغول وروسيا . وكان سبب هذا النزاع سياسيا أكثر منه دينيا . واشتهرت بخارى وخيفا المسلمتان بالحرية الدينية وإن كانتا تابعتين لروسيا منذ القرن الثامن عشر . وأصبح عدد المسلمين الروس فيها أحد عشر مليونا ونصف المليون وأغلبهم من أبناء السنة من بين ١٣٠ مليون روسي وذلك حسب إحصاء عام ١٨٩٧م . وكانت روسيا تشترط على المسلمين إطاعة الأوامر الروسية ودفع الضرائب ولهم بعد ذلك ممارسة شعائرهم الدينية . وظهرت طبقة أرستقراطية من مسلمي التتر لعبوا دورا بارزا في تاريخ روسيا السياسي والعسكري والثقافي، حتى أن (بوريس جودونوف) أصبح قيصرا لروسيا وهو مسلم في الفترة من ١٥٩٨ - ١٦٠٥م، بل إن إمارة تسمى (قيصرية قاسموسكو) سكنها التتر المسلمون ولم يحكمها إلا من كان مسلما . وشارك المسلمون الروس في حروبهم ضد بولونيا وحرروا موسكو من الغزاة الكاثوليك علم ١٦١٢م . وقام عالم اسمه (بيوتر بوستنيكوف) بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الروسية بوصية من بطرس الأكبر . وفي عام ١٧٢٢م نشر أول بحث روسي في الإسلام في كتاب كتبه (ديمتري كانتيمين) وكتب العالم والمؤسس لجامعة موسكو (لوموتوسوف) مؤلفا عن تاريخ وإقليم الإسلام وهو الذي أسس قسم الدراسات الشرقية في الجامعة .

وعندما تولت الإمبراطورة الروسية (كاترين العظمى) الحكم من ١٧٧٢ - ١٧٩٦م اعترفت بالإسلام دينا لبعض الروس وأسست مجلسا تشريعيا لمسلمي (أوفا) كمركز رئيسي لمسلمي القسم الأوروبي لروسيا .

أما الإمبراطور (نيقولا الأول) ١٨٢٥ - ١٨٥٥م فقد صادق شخصيا على تصميم مسجد نموذجي بتبرعات المسلمين ومساعدة الإدارة الروسية . وكان قد فرض على من يخالف الدين أن يضرب بغصن الشجرة لأول مرة وبالعصا للمرة الثانية وبالجلد للمرة الثالثة .

أما (نيقولا الثاني) في (١٨٩٤ - ١٩١٧م) فقد أمر بعقاب من يهين الأديان . وتوالت طباعة القرآن الكريم بالعربية وحافظ المسلمون على إقامة الشعائر الدينية . وبعد استخدام البخار في السفن نشط المسلمون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أداء فريضة الحج، وكان عدد (علماء) الجالية الإسلامية يزيد على مائة ألف نسمة في أواخر القرن التاسع عشر ة يترأسهم المفتي الأعظم الذي كان يحمل رتبة جنرال روسي . ومارست أسرة رومانوف تسامحا دينيا تجاه المسلمين وأعفوا العلماء من الضرائب ومن التجنيد . وزاد عدد المساجد فمثلا كان في منطقة (ميرف) عام ١٨٨٥م ثلاثة مساجد وزاد العدد في عام ١٩١١م إلى ٢٣٣ مسجدا . وتحملت روسيا مصاريف محاكم الشريعة كلها أو جزءا منها . وفي حالة وقوع نزاع بين مسلم وغير مسلم كانت تحال القضية إلى محكمة روسية إمبريالية . ونشط المسلمون في التجارة والصناعة والجيش والتعليم، وشاركوا في مجلس البرلمان (الدوما) وظهر منهم النبلاء وهم من الطبقة الممتازة[٥] .

وكتب بعض الحجاج الروس تقارير عن الأحوال الاجتماعية في الحجاز ومن هؤلاء (سليم غري سلطانوف) الذي حج عام ١٨٩٣م والكابتن عبد العزيز (دافلتشين) الذي حج عام ١٨٩٩م وتحدث عن سوء المعاملة التي لقيها الحجاج من الجنود الأتراك حيث كانوا يتعرضون للنهب والسلب وذكر عدم نظافة أم القرى ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام والتي يكثر فيها بيع الرقيق[٦] .

وورد في مذكرة مرفوعة إلى رئاسة قلم تحرير جناب السلطان العثماني عن الخليج العربي مؤرخة في ٢١ شباط ١٣١٣هـ ما يلي :

١ - تعتقد انجلترا أن الدولة العثمانية ليس بإمكانها منع روسيا من احتلال أراضي الخليج .

٢ - أن التجارة الإنجليزية مع الممالك العثمانية في تناقص مستمر في الوقت الذي تتسع فيه وتزداد تجارة روسيا مع البلاد العثمانية الواقعة في حوزة الروس ومنها الخليج العربي .

٣ - يرى بعض المراقبين أن الروس يمكنهم النزول إلى الخليج العربي عن طريق العراق أو إيران للخروج للمحيط الهندي وهنا يتحرك الإنجليز لإنشاء مراكز نفوذ لهم في الخليج العربي .

ولابد من شغل القوات الروسية بحركات تمنع نزولهم في الخليج وهذا ما قدمه كيرزون بضرورة توسيع نفوذ إنجلترا في الخليج[٧] .

وإزاء محاولة الوصول إلى المياه الدافئة في الخليج فقد واجهت روسيا صعوبات من الإنجليز والدولة العثمانية والإمبراطورية الإيرانية من حين لآخر حسب تطور الأمور على الساحة الإقليمية . وفي عام ١٨٨٦م أرسلت روسيا وفدا إلى طهران مع مشروع لمد خط للسكة الحديد من بحر قزوين إلى الخليج العربي . ورّوجت شائعات أن إيران تنازلت عن جزيرة في الخليج العربي لصالح روسيا . لكن الشاه نفى الخبر بشدة وطمأن بريطانيا بأنه لن يقوم بأي عمل يضر مصالح بريطانيا .

وبالنسبة لمصالح بريطانيا في الخليج العربي أكد اللورد كيرزون في رسالة له في عام ١٩٠١م بأنه يجب أن تسيطر بريطانيا كليا على جنوب إيران والخليج العربي . ورأى كيرزون بأن روسيا تحاول كسب نفوذ سياسي بواسطة الأعمال التجارية ومد خط حديدي وإقامة محطة للفحم في إحدى الجزر الخليجية .

ولاحظ كيرزون بأنه إذا كسبت روسيا ميناء في الخليج العربي وركزت سفنها البحرية فيه فسوف يكون ذلك خطوة لفرض سيطرتها على الخليج وعلى آسيا في النهاية . ولا يمكن لبريطانيا أن تمنع ذلك بواسطة الوصول إلى التفاهم مع روسيا حول مناطق النفوذ للقوتين . فقد ظل الخليج العربي بحيرة إنجليزية لأكثر من مائة عام ويجب أن يبقى كذلك مستقبلا دون تحد من أي قوة أجنبية أخرى[٨] .

ولقد كشفت الوثائق الروسية وما كتبه الرحالة والحجاج الروس عن الكثير من تاريخ المسلمين في روسيا فمنهم من ذكر إحصائيات لعدد سكان الأماكن المقدسة والتي أغفلت ذكرها كتب التاريخ فإن تقرير الكابتن (دافلتشين) الذي كتبه عام ١٨٩٩م حين زار الحجاز ذكر أن عدد سكان مكة المكرمة يتراوح بين ٧٠,٠٠٠ - ٨٠,٠٠٠ نسمة وكان

العرب يشكلون معظم هذا العدد والباقي من جنسيات أخرى ويصف أحوالهم الاجتماعية وصفاتهم البيولوجية وعاداتهم وتقاليدهم والمهن التي يزاولونها وقلة المتعلمين منهم . ثم المواد المستوردة لسد حاجة الحجاج الذين يفدون في كل عام إلى مكة المكرمة والعملة المتداولة . (ويذكر رولتشين أن عدد المسلمين في تركستان رسميا يصل إلى ١٩ مليون نسمة)(٩) .

ولقد زودتنا الوثائق الروسية بمعلومات تلقي الضوء على الأحوال الاجتماعية والأمنية في الحجاز في عهد الأشراف والعثمانيين مما يؤكد لنا سبب ترحيب أهالي الأماكن المقدسة في الحجاز بالملك عبد العزيز الذي خلصهم من نير العثمانيين والأشراف . فساد الأمن والعدالة الاجتماعية والنظام في عهده وزاد الاهتمام بالحرمين الشريفين خاصة والجزيرة العربية عامة . وهذا من أسباب اعتراف روسيا كأول دولة بالحكم السعودي للحجاز ثم تلتها سائر الدول الأخرى .

ومن دراسة التقارير التي كتبها الروس عرفنا (عدد الحجاج) في كل عام ففي عام ١٨٩٨م ذكر دافلتشين أن عدد الحجاج بلغ حوالي ٨٠٠٠ نسمة ويشكل العرب نحو ثلاثة أخماس هذا العدد . ومعظم سكان مكة من الوافدين الذين استوطنوها . وأهل مكة كرماء ويستضيفون الحجاج . وقلما تجد منهم من يعرف القراءة والكتابة . ويعمل أكثرهم في خدمة الحجاج كمرشدين ومطوفين ومعظمهم على مذهب الشافعي والمالكي .

ويستطرد دافلتشين بقوله وفي عام ١٨٩٨م قدم إلى مكة ٤٥٠ حاجا روسيا أغلبهم من كبار السن ومعظمهم من الأغنياء والملاكين ورجال الدين وكانت رغبتهم أن ينالوا احترام الناس بحملهم لقب (الحاج) وتدوم الرحلة نحو سنتين لصعوبة المواصلات .

وحين كتب الحاج (سليم سلطانوف) عن رحلته للحج عام ١٨٩٣م بحرا ثم وصوله إلى المدينة المنورة وصف المسجد النبوي الشريف ووصف بيوتها وشوارعها . ثم ذكر أن مساحة مكة حوالي أربعة كيلومترات مربعة تحيطها الجبال ووصف بيوتها وأسواقها وسلعها واعتمادهم على التجارة . ويذكر عن المدينة ومكة والطائف أن فيها مكاتب للبريد وصيدليات ومستشفيات وثكنات لحوالي ٢٠٠٠ جندي ومطبعة وسوقا للكتب .

والمواصلات هي الدواب والعربات . ثم يذكر أسلوب الحياة اليومية والأعياد والحفلات . وأخيرا فإن الحج ساعد إلى إحياء شعلة الإسلام في الإمبراطورية الروسية . وكان الحاج عند عودته يلقى تقديرا لدى مسلمي الروس ويصبح له احترام وإجلال . ويجتمع حوله الناس يروي لهم قصص رحلة الحج[١٠] .

والجدير بالذكر أن بعض سكان بلاد القوقاز والبلقان الذين اعتنقوا الإسلام وجدوا لأنفسهم أصولا عربية (كالشركس والشيشان والأنبان والبشاتقة) وقد ذكر المسعودي الذي عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي في كتابه "مروج الذهب" هذه الظاهرة[١١] .

وعلى الرغم من أن الشيشان اعتنقوا الإسلام في القرنين ١٦ و١٧ فقد وجدت صيغة مكتوبة تشير إلى أن أصلهم عربي ويعود لثلاثة إخوة هم عبد خان، ورشيد خان، وحمزات خان أولاد سعيد علي شامي الذي عاش وتوفي في الشام . وقد نزحوا في ٦٣هـ/٦٨٥م من الشام واستقر أحد أحفاد الإخوة الثلاثة وهو شام خان في موطن الشيشان الحالي عام ٢١٣هـ . وإن كانت هذه الرواية ليس لها دليل تاريخي ثابت[١٢] .

وكانت الدولة العثمانية راعية المسلمين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على علاقة طيبة بروسيا . ولما طلبت روسيا من السلطان أن تكون حامية المواطنين المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية لا في القدس وحدها . رفض السلطان الطلب ونشبت الحرب فتدخلت بريطانيا وفرنسا إلى جانب العثمانيين فانهزمت روسيا . ثم تغيرت سياسة أوروبا ضد العثمانيين لصالح روسيا حين رفض مدحت باشا إعطاء مرتبة خاصة لغير المسلمين مما أدى إلى مطالبة الأوروبيين بتحسين أحوال المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية فنشبت حرب ١٨٧٨م مع روسيا وكانت نتيجتها أن احتلت روسيا صوفيا وكل بلغاريا وأدرنة[١٣] .

وهناك منطقة تسمى (ادجاريا) تتمتع بالحكم الذاتي وتقع على ساحل البحر الأسود غرب جورجيا التي كانت تسمى بلاد الكرج وقد ذكرها مؤرخو العرب الأوائل كالطبري وابن حوقل والمسعودي والأصطخري وابن الأثير وياقوت وآخرون . وسكانها من

المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام في القرون الأولى من انتشاره وقد عثر على كتابات ونقوش عربية تعود إلى صدر الإسلام . وألف بعض مسلمي شمال القوقاز كتبا باللغة العربية واليوم تنتشر مراكز وكليات الاستشراق في أكاديمية العلوم في بلاد الكرج أو جورجيا التي حوت مكتباتها المخطوطات العربية في أكاديمية العلوم وفي معهد آسيا وأفريقيا وفي هذه الأكاديمية تدرس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي وبرز الكثير من المستشرقين فيها وقد ألفوا عددا من الكتب التي تعالج قضايا العالم العربي .

وينتشر المسلمون في أوزبكستان وبخارى التي يتكلم بعض سكانها اللغة العربية ويؤكدون على أصلهم العربي وعددهم نحو ثلاثة آلاف نسمة . وهناك قرى تقع في الجنوب من بلاد الكرج مثل جينا وقماشي وسكانهما عرب ولغتهم العربية وعددهم نحو ألف وخمسمائة نسمة .

واليوم تحتل المخطوطات العربية في مكتبة الكلية الشرقية في جامعة سان بطرسبرج مكانة بارزة ويبلغ عددها نحو ٩٠٠ مخطوطة منها مجموعات ترتفع بعددها ليصبح ١٤٠٠ مخطوط . وأقدم مخطوط عربي يعود للقرن الثالث عشر الميلادي وفيها مخطوطات نادرة وفريدة مفسرة باللغة البيلوروسية وبحرف عربي وقاموس منسوخ في القرن السادس عشر . هذه المكتبة تأسست منذ ١٨٠٤م في الكلية الشرقية للغات والتاريخ وكان أول مدرس فيها (فرانس سلفستر ديلستي) وأول لغة هي اللغة العربية بالنسبة للغات الشرقية[١٤] . هذا إلى جانب معاهد الاستشراق الروسية في موسكو ومدن أخرى من روسيا .

ويحدثنا التاريخ أن العرب نشروا الإسلام في روسيا ففتحوا آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي وبعد قرن انتشر الإسلام في بلاد ما وراء القوقاز وهناك كان للعلماء كبير الأثر في تمسك المسلمين بعقيدتهم، ثم تدهورت أحوالهم في القرن السادس عشر عندما سقطت خانات قازان وأستراخان في يدي إيفان الرابع الملقب الرهيب . وبعد قرنين سقطت طشقند وسمرقند وخوقند وأصبحت تحت حكم الروس .

وعدد المسلمين في روسيا يبلغ نحو عشرين مليونا ويتوزعون على النحو التالي : ٦٠٪ من مجموع سكان آسيا الوسطى، و٢٥٪ من السكان في القسم الأوروبي وسيبيريا

و١٥٪ من سكان ما وراء القوقاز وشمالها خاصة في أذربيجان . كما يوجد مسلمون من أصل صيني هاجروا إلى روسيا هربا من الاضطهاد الصيني للمسلمين في أواخر القرن التاسع عشر . ورغم ما كان يلاقيه المسلمون من اضطهاد إلا أنهم بنوا المساجد فأصبح عددها في الإمبراطورية ٢٦ ألف مسجد في أوائل القرن العشرين عدا مساجد خيفا وبخارى المستقلتين عن الحكم الروسي . وفي جمهورية شيشينز ٢٦٧٥ مسجدا عام ١٩٣٠م . وفي تركمانستان ٤٨١ مسجدا عام ١٩١١م . أما عدد المساجد في الاتحاد السوفييتي بعد عام ١٩١٧م فلا يزيد على ٤٥٠ مسجدا .

وإلى جانب المساجد توجد مدارس دينية عددها نحو ٢٤ ألف مدرسة دينية في جميع أنحاء الإمبراطورية الروسية وفيها يتعلمون مبادئ اللغة العربية التي كان لها مكانة خاصة في نفوس المسلمين الروس لأنها لغة القرآن الكريم . ويحافظ المسلمون على عاداتهم، ويدفنون موتاهم ويختنون أبناءهم وفق الشريعة الإسلامية . وتقام ولائمهم في المناسبات الدينية وخاصة في شهر رمضان المبارك(١٥) .

أما تركستان الإسلامية فقد تقاسمتها روسيا والصين وكانت ولا تزال مهد الحضارة والثقافة ومؤلفات أبنائها متداولة في الجامعات التي لا تخلو أي مكتبة منها من كتب الصحاح البخاري ومسلم والترمزي والنسائي أو من كتب الفارابي والبيروني والخوارزمي ومئات غيرهم عبر التاريخ . ورغم تعرض المسلمين للاضطهاد إلا أنهم حافظوا على ديانتهم وتمسكوا بعقيدتهم ومن تركستان انطلق السلاجقة والعثمانيون وملوك المغول العظام الذين حكموا شبه القارة الهندية ولا زالت آثار حضارتهم شاهدة عليهم .

ملحق

تقرير للشهبندر العثماني بلندن

رقم البحث : ٣٩٢٩

نوع الوثيقة : أوراق ييلديز

رقم الأوراق : ٢٥٥

رقم القسم : ١٤

رقم الظرف : ١٢٦

رقم الكارتون : ٨

تاريخ الوثيقة : ٢١ فبراير (شباط ١٣١٣ ر

محل وجود الوثيقة : الأرشيف العثماني باستانبول

الوثيقة عبارة عن لائحة في خليج البصرة والعلاقات بين الحكومة السنية (الدولة العثمانية) وإنجلترا قدمها إلى السلطان وكيل شهبندر لندن وجاءت في ١٣ صفحة كبيرة استهلها ببيان السبب الذي حمله على تقديمها إلى السلطان وذكر أنه عرض في لائحته هذه ما اطلع عليه من مواد وخصومات تتعلق بالآمال الأجنبية في خليج البصرة والأماكن المجاورة لها مع بعض مطالعاته المتواضعة حول هذه المسائل، وقال أن خليج البصرة واقع في أنسب محل مبادلة لتجارة قسم كبير من قارتي آسيا وأفريقيا، والقسم الهام من الخليج خاضع للحكم العثماني، والأقسام الباقية له مسكونة من قبل المسلمين أيضا والجهود التي ستبذل في تحسين أوضاع المنطقة لابد وأن تخدم انتشار نفوذ الخلافة المقدسة العثمانية وتوسيع دائرة حكمها وسيادتها، وأشار إلى أن الإجراءات الإصلاحية المتخذة حتى الآن في المنطقة ليست بوجه من الوجوه متناسبة مع مقام الخلافة واحتياجات السلطنة السنية، كما أشار إلى أن الإنجليز هم أكثر الملل الإفرنجية قياما بأبحاث فنية وتجارية وسياسية في العراق والفرات ونواحي البصرة وقال إن إقامتهم في بغداد موظفا سياسيا بدلا من تعيين قنصل فيها كما فعلوا ذلك في الهند قبل استيلائهم عليها، وتعيينهم مفرزة عسكرية إنجليزية بدعوى حراسته، ونصب هذا الموظف

السياسي من قبل الوالي الإنجليزي في الهند لا من قبل الوزارة الخارجية البريطانية كما في تعيين القناصل، كل ذلك دلائل واضحة تكشف عن نوايا الإنجليز العدوانية في المنطقة . ومن المعلوم أن الإنجليز يخططون الاستيلاء على عربستان ونواحي البصرة منذ أمد بعيد، وقال أن السياسة التي تبناها الإنجليز إزاء الدولة العلية تقوم على أساس العمل من أجل القضاء عليها وزوالها، لا من أجل الحفاظ عليها وبقائها. واستدل على ذلك بالأمور التالية :

أولا - أن إنجلترا واثقة ومتيقنة من أن الدولة العثمانية لن تستطيع الوقوف في وجه الأطماع التوسعية الروسية .

ثانيا - أن التجارة الإنجليزية مع الممالك العثمانية في انخفاض مستمر بالنسبة للتجارة الروسية مع الممالك التي احتلها الروس من الدولة العلية، وقد أصبح العثمانيون يعرفون في العالم اليوم بالبطالة، والعطالة، والجهل في المعارف التجارية وطرقها ووسائلها فلا يستطيعون تنمية مصادرهم التجارية وتأمين أسواق لها في الخارج .

ثالثا - يعتقد الإنجليز جميعهم بصورة عامة زوال كل مانع كان يقف في وجه الروس لتحقيق أطماعهم في احتلال عاصمة السلطنة العثمانية، وذلك لأن البحر الأسود أصبح في حكم بحيرة روسية، والأسطول العثماني أصبح في حكم العدم . كما أن المعارضة الإنجليزية لاحتلال الروس العاصمة العثمانية استنبول فقدت خلال الأيام الأخيرة شيئا كثيرا من شدتها وقوتها ولاسيما بعد احتلالهم مصر القاهرة، وتصدي المتعصبون الإنجليز لقلب الحقائق الدامغة المتعلقة بفساد الأرمن في الممالك العثمانية وطغيانهم فيها ويحاولون إبرازها كمجازر ومظالم تركية ضد الأرمن ويعلنون عن دعمهم وتأييدهم لاحتلال الروس الممالك العثمانية كسبيل لرفع هذه المظالم عن الأرمن، وأن الكنيسة البريطانية ترغب من غير شك في أن تعود "أياصوفيا" إلى سابق عهدها معبدا للنصارى . وقال لورد روزبري في خطاب له ألقاه في العام الماضي : " **أن استنبول كانت عاصمة لنصارى الشرق، وأدعو الله أن يعيدها إلى سابق عهدها** . " وأعرب سائح إنجليزي عن انطباعاته عن زيارته لاستنبول عاصمة الدولة العثمانية بهذه الكلمات المسمومة : "**إن مشاهدة ما في هذه المدينة التاريخية من فوضى ووساخة وخراب تكفي وحدها لملء صدر الإنسان بمشاعر**

البغض والاستنكار إزاء الأتراك المحرومين عن كل استعداد لتقبل الحضارة والمدنية، وأن هذا البغض وحده سبب كاف ليتمنى الإنسان زوال السلطان التركي وحكومته عنها عن قريب."

رابعا - الاحتلال الروسي للممالك العثمانية يجر على روسيا غوائل عظيمة تضعف من شأنها وقوتها في مواقع الهند، لأن الأهالي الإسلامية المغلوبة على أمرها لابد وأن تثور ضد هذا الاحتلال، والثورة عليه وإن لم تكن ناجحة في تحقيق أهدافها فإنها تسبب متاعب ومشاغل كبيرة للروس وتلهيهم وتكسر من شوكتهم على حدود الهند.

خامسا - يرى الإنجليز انتشار نفوذ الخلافة الإسلامية بين المسلمين أمرا يتعارض مع مصالحهم المستقبلة، ومن أجل ذلك يعملون بكل وسيلة لكسر وإضعاف هذا النفوذ الذي يتمتع به آل بني عثمان، ويغتنمون كل فرصة لإقامة حملات دعائية معادية لهم في صحفهم ومجلاتهم تحت عنوان **"شناعات الإدارة السيئة للحكومة السنية"** وتحت ستار هذه الدعايات المغرضة يستولون على المسلمين بسبب ضعفهم وغفلتهم، وكلما استولوا على بلد إسلامي أطلقوا شعاراتهم الزائفة من أنهم ينشرون الحضارة المسيحية في بلد متوحش ويعملون من أجل رفع مستواه بإلغاء العبودية المنافية للمثل الإنسانية، وفتح منابع جديدة للكسب والربح أمام التجارة الدولية تستفيد منها بحرية تامة، وبذلك ينالون العطف والتأييد من العالم المسيحي.

سادسا - يدعي الإنجليز أن للأرمن وطنا قوميا يئن الآن تحت الاحتلال التركي الذي يذيقهم الويلات ويحرمهم من حقهم الطبيعي في الحرية والاستقلال ويتطلعون إلى روسيا من هذه الناحية كعناية ربانية لقربها من أرمنستان وقدرتها على تخليص الأرمن من ظلم الأتراك واضطهادهم.

سابعا - يرى الإنجليز أن من واجبهم الإسراع والتعجيل في تقوية نفوذهم ومراكزهم في سواحل عربستان وسائر جهات الخليج قبل أن يتمكن الروس من النزول في خليج البصرة عن طريق عجمستان (إيران) ويجدوا لهم منفذا إلى المحيط الهندي من هناك، حيث أن ذلك من توقعات أرباب التدقيق (المراقبين الدوليين).

وأكد الشهبندر العثماني بلندن أن هذه الأسباب التي ذكرها آنفا تدل دلالة واضحة على أن الإنجليز إنما يعملون من أجل زوال الدولة العثمانية وانقراضها لا من أجل بقائها واستمرارها، وقد أعربوا عن نواياهم العدوانية هذه مرارا وعن تصميمهم على عدم السماح للنفوذ السلطاني بتخطي حدود لحسا نحو عمان واعتبارهم كل محاولة عثمانية في سبيل ذلك اعتداء سافرا على استقلال الإمارات العربية من قبل الحكومة السنية العدو اللدود لحرية الأقوام . ثم تطرق صاحب اللائحة إلى الحديث عما يجب عمله لتقوية المركز العثماني في خليج البصرة، والتصدي للمنافسة الإنجليزية العدوانية في المنطقة. واقترح اتخاذ الخطوات التالية :

١ - يتبع الإنجليز سياسة تنشيط التجارة في البلد الذي يحكمونه بتسهيل الأمور المتعلقة بالتجارة وترغيب الناس فيها وحثهم عليها، فعلى الحكومة السنية تبني هذه السياسة أيضا باتخاذ جميع الإجراءات والتدابير اللازمة التي من شأنها تنمية التجارة والتي تضمن للناس جميع حقوقهم وتوفر لهم الأمن والحماية من عبث العابثين وتقدم لهم ما يحتاجونه من مساعدات وتسهيلات، ولن تفلح دولة إذا كان مواطنوها فقراء ينهشهم الجوع والحرمان .

٢ - القيام بإصلاح الجهاز الإداري في هذه الأماكن النائية عن مركز الخلافة، وذلك لأن الذين يرغبون في العمل فيها هم بصورة عامة من ذوي النفوس المريضة والخبيثة لبعدها عن المركز وتمكنهم فيها من النهب والسرقة . والإنجليز يستغلون أي خطأ مهما كان تافها من أي موظف عثماني في المنطقة ويتخذونه سلاحا يهاجمون به الدولة العثمانية ويشيعون في الناس أنهم إنما يعملون من أجل تخليصهم من ظلم الأتراك وتعسفهم ولكي ينالوا حقهم في الحرية والسعادة الإنسانية، ويقولون إذا كانت الحكومة العثمانية على هذا المنوال من الظلم والتعسف فواجبهم الإنساني والحضاري يحتم عليهم العمل من أجل تحريرهم وتخليصهم من الأتراك الظالمين المعتدين ولاسيما النصارى من رعايا الدولة العلية يجب تخليصهم من براثن هذه الإدارة البغيضة . ويقول صاحب اللائحة أن المسلمين الغافلين كانوا يرون الإنجليز من محبي الإسلام والأصدقاء الأوفياء لهم لعلهم يفيقون إلى رشدهم، ويتنبهون من غفلتهم هذه ليدركوا تلك الحقيقة التي

خفيت على السذج من الناس من أن الإنجليز ليسوا إلا كارثة عظيمة أصيب بها المسلمون في أرضهم ودينهم .

٣ - إذا استقام شأن الخلافة الإسلامية وقوي نفوذها في المنطقة فيمكن إقناع إمارة عمان إلى الالتحاق بها والانضمام تحت لوائها، وليس من الصعب أبدا إقناع أذكياء العرب إلى أن الالتحاق بدولة الخلافة الإسلامية خير من الرضوخ للحكم النصراني للإنجليز، وما من مسلم يفضل أن ترفرف في سماء بلده راية غير إسلامية . ويقول صاحب اللائحة أن المستر كورزون يشيع في الناس أن الحفاظ على أمن المنطقة أمر متوقف على القوات البحرية الإنجليزية، وأن لصوص البحر (القراصنة) في سواحل عمان التجأوا إلى السواحل التي يحكمها العثمانيون من الخليج حيث أن الموظفين العثمانيين يأوونهم ويتغاضون عن نشاطاتهم اللصوصية . وأشار صاحب اللائحة إلى أن القيام بإصلاح الجهاز الإداري في المنطقة قد يفند هذه المزاعم للإنجليز .

٤ - تقوية الأسطول العثماني في الخليج لرد القراصنة عن السواحل العثمانية أولا ورفع معنويات المسلمين في الاعتماد على قوتهم البحرية فيه ثانيا .

٥ - تشغيل عدد كاف من السفن التجارية للنقل النهري في المنطقة وقطع الطريق على الشركات الإنجليزية العاملة في هذا المضمار .

٦ - توصيل الخط الحديدي الأناضولي إلى بغداد والبصرة، حيث أن هذا الخط الحديدي إذا امتد من حيدر باشا باستنبول إلى البصرة أصبح ممرا رئيسيا لجنوب آسيا وجزر البحر الهندي وبذلك تزيد الأهمية التجارية لخليج البصرة زيادة تفوق كل توقع وتقدير . وختم الشهبندر العثماني بلندن لائحته متمنيا أن يتم اتخاذ هذه الخطوات والتدابير قبل فوات الأوان .

الشهبندر خليل خالد

الهوامش

١ – د. أرابوف . نخبة المسلمين في روسيا الإمبريالية ص ١ .

٢ – الموسوعة الإسلامية . الطبعة الإنجليزية، ليدن ١٩٦٥م، صفحة ٥٨٤، خويني ذاتري موريا . موسكو، ١٩٥٨م – ٢١ .

٣ – كراتشكوفسكي . تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، طبع عام ١٩٥٧م، القاهرة . ص ١٨٦ – ١٨٧ والزركلي . الإعلام . جـ٢ . ص ١٩٥ و ١٩٦ . طبع بيروت ١٩٨٠، الطبعة الخامسة .

٤ – نجدت فتحي صفوت . العرب في الاتحاد السوفييتي . طبع بغداد ١٩٨٤م . ط١ . ص ١١ – ٢٩ .

٥ – حكمت أسرة رومانوف منذ عام ١٧١٣ – ١٩١٧ / بحث الدكتور أرابوف .

٦ – جورج مرسكي . تقارير عن الحج للكابتن دافلتشين وسلطانوف .

٧ – أوراق قصر يلدز رقم ٢٥٥ قسم ١٤ رقم الملف ١٢٦ تسلسل ٢١٧٠ من وكيل السفارة العثمانية في لندن (خليل خالد) . تعريب أحمد العناني وثائق التاريخ القطري جـ ٢ تأليف سالدانها . من الوثائق البريطانية والعثمانية ١٨٦٨ – ١٩٤٩م من ١٣٤ – ١٤٧ .

٨ – سالدانها، التنافس الدولي والسياسة البريطانية ١٨٧٢ – ١٩٠٥م، ص ١ و ٤٠ و ٤٤ .

٩ – رزقان المترجم ص ١٥ .

١٠ – جورج مرسكي . تقرير للكابتن دافلتشين حول سفره للحجاز عام ١٨٩٩ ومذكرات الحاج سالم غيري سلطانوف ١٨٩٣ .

١١ – محمد الأرناؤوط . الأصول العربية لعدة الشعوب المسلمة في أوروبا . مجلة المنارة المجلد ٢ العدد ٩٩٧/١ عمان . الأردن .

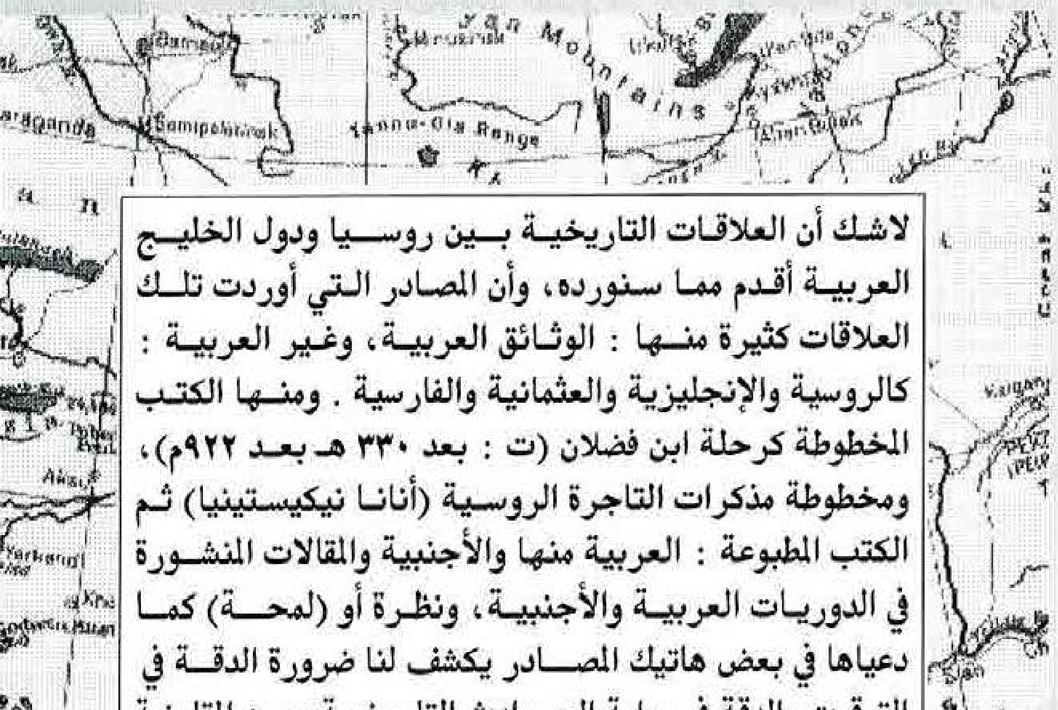
١٢ – ن.م.س. ص ٢١ و ٦٦ .

١٣ – بيتروسيان . الإمبراطورية العثمانية وروسيا من ١٨٠٠ – ١٩٠٠م . والوثيقة العدد ١٦ ص ٨٢ – ١١٥ .

١٤ – الدكتور على أباحسين . مشاهدات ومذكرات شخصية عام ١٩٩٧م .

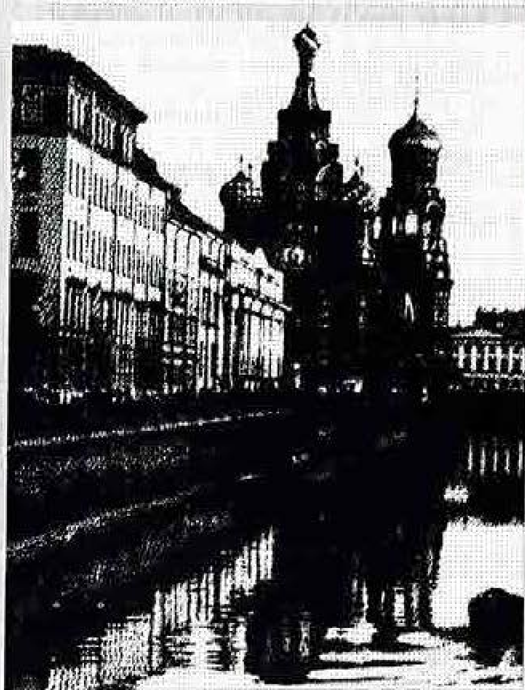
١٥ – شيرين أكينار . المسلمون في الاتحاد السوفييتي . صوت تركستان الشرقية العدد ٣ سبتمبر

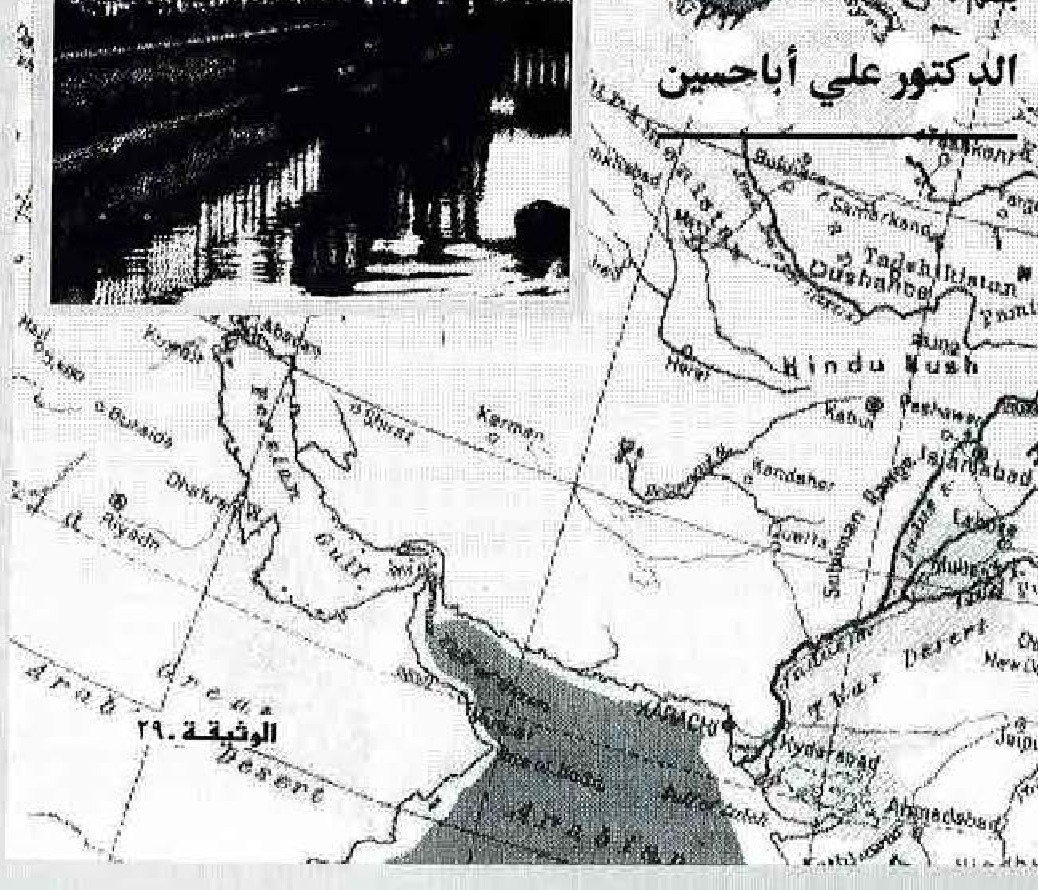
لمحة حول العلاقات التاريخية



لاشك أن العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية أقدم مما سنورده، وأن المصادر التي أوردت تلك العلاقات كثيرة منها : الوثائق العربية، وغير العربية : كالروسية والإنجليزية والعثمانية والفارسية . ومنها الكتب المخطوطة كرحلة ابن فضلان (ت : بعد ٣٣٠ هـ بعد ٩٢٢م)، ومخطوطة مذكرات التاجرة الروسية (أنانا نيكيستينيا) ثم الكتب المطبوعة : العربية منها والأجنبية والمقالات المنشورة في الدوريات العربية والأجنبية، ونظرة أو (لمحة) كما دعياها في بعض هاتيك المصادر يكشف لنا ضرورة الدقة في التوقيت والدقة في رواية الحوادث التاريخية حين المقارنة بين بعضها والبعض وصولاً إلى الحقيقة التاريخية أو ما يقرب منها . أقول وما يقرب منها، وذلك لأن

بين روسيا ودول الخليج العربية





بقلم:
الدكتور علي أباحسين

هناك الكثير من الوثائق والصحف والمجلات القديمة والصور والخرائط والكتب النادرة مازالت قابعة في الأرشيفات الروسية وتحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة لتكشف لنا الجانب الآخر للحوادث والوقائع التاريخية والتي اعتمدنا في معرفتها على جانب واحد هو جانب أرشيفات أوروبا الغربية والهند بصورة خاصة حين كتابة تاريخ دول الخليج العربية . كما أن (الوثائق العثمانية) لم تتطرق حسب علمنا إلا نادرا لتلك العلاقات الروسية بدول الخليج العربية علما بأن لدى الأمانة العامة لمراكز الدراسات والوثائق في دول الخليج والجزيرة العربية ما يزيد على اثني عشر ألف وثيقة عثمانية ذات علاقة بالتاريخ العربي والجزيرة العربية .

ويضم (أرشيف روسيا القيصرية) ستة أرشيفات : أكبرها (أرشيفات موسكو) وعدد الوثائق فيها نحو مليونين ونصف مليون وثيقة تلقي الضوء على التاريخ السياسي والاقتصادي للفترة من القرن الثامن عشر حتى عام ١٩١٧م . . وتوجد وثائق لما بعد هذا التاريخ في أرشيفات أخرى وعددها مليونا وثيقة، علاوة على الأفلام والصور والخرائط . . ثم هناك (الأرشيف البحري) ويحوي أكثر من ٢,١ مليون وثيقة، وأرشيفات الوثائق العلمية والأدبية والفنية، وأرشيفات مركزية لمجموعات الوثائق أما (سان بطرسبرج) ففيها أكثر من ستة ملايين وثيقة[١] . وأن درب العلم والبحث طويل وإليه تقصر الأعمار .

فالباحث عن العلاقات التاريخية بين روسيا ودول الخليج العربية لابد وأن يلم بالعوامل أو الدوافع التي دفعت روسيا للاتصال بالخليج العربي ومنها :

دوافع سياسية : فقد رسم بطرس الأكبر (١٦٧٢ - ١٧٣٥م) سياسة روسيا القيصرية بقوله : "توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج (العربي) فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى"[٢] .

ومن أجل ذلك فقد حاول الروس معرفة الأحوال السياسية في الخليج العربي وما يمكن اتخاذه لسير الطرادات الحربية والسفن التجارية للوصول إلى الأهداف المرسومة لمواجهة الدولة

العثمانية والدولة الفارسية المجاورتين لحدود روسيا . ثم مواجهة بريطانيا التي كانت وقتئذ تسيطر على الخليج العربي بكامله حتى أن (سالسبري) البريطاني صرح في أبريل ١٨٩٩م بقوله : "إن من واجب بريطانيا ألا تسمح لأي دولة أوروبية أخرى أن تملك أو تسيطر على الموانئ في الخليج[٣] .

ولكن روسيا حاولت فتح القنصليات وإرسال البعثات لدراسة أحوال الخليج والاتصال بالشيوخ . ونشرت الصحف الروسية مقالات عن الخليج وقبائله وذلك لتحقيق الأهداف السياسية وإن لم تنجح تلك المحاولات وذلك لموقف بريطانيا المناوئ للسياسة الروسية . ولأن بريطانيا سبقت الدول الأوروبية ومنها روسيا بعدة قرون فمنذ بداية القرن السابع عشر أقامت شركة الهند الشرقية قواعد لها في الخليج بينما بدأت روسيا بإرسال سفنها في أواخر القرن التاسع عشر ثم أخذت بعقد الاتفاقيات مع فرنسا عام ١٨٩٢م ومع الدولة العثمانية وألمانيا ضد إنجلترا لتشعرها أنها ليست هي الوحيدة في الخليج ولكي يعلم سكان الخليج أن هناك قوى كروسيا التي أخذت ترسل الطرادات والبوارج الحربية لزيارة الخليج العربي[٤] .

ودوافع اقتصادية : وذلك بمحاولة روسيا فتح أسواق لبضائعها في الخليج العربي ومد أنابيب لنقل الكيروسين من باكو في أذربيجان عبر إيران لتسويقه في الخليج . وإرسال السفن الروسية التي تنقل الركاب والبضائع من (أوديسا) على البحر الأسود إلى الخليج وخاصة في الفترة بين ١٩٠١ - ١٩١٤م وقد أبحرت أكثر من ستين سفينة في هذه الفترة، وشكل وزير المالية الروسي (دي ويت) في عام ١٩٠٠م لجنة لإقامة خط ملاحي بين (أوديسا) والبصرة وبوشهر وخلال شهرين وصلت السفينة الروسية (كورنيلوف) في مارس ١٩٠١م للخليج العربي[٥] .

دوافع علمية : فقد قام بعض الرحالة والسفراء والتجار من الروس بزيارة الخليج العربي وكتبوا مذكراتهم كما كتب العرب عن بلاد الروس ومنهم :

في العصور الوسطى : ابن فضلان (ت : بعد ٩٢٢م) وهو أول سفير عربي في العصر العباسي إلى بلاد الصقالبة . وقد ذكر ابن فضلان أن الأمير (أوليغ نوفكورد ٢٧٠هـ/٨٨٢م) استولى على (كييف) ووحدها مع إمارة نوفغورود في

الشمال وبذلك قامت أول دولة روسية مركزها كييف ودامت ثلاثة قرون وأنه هدد القسطنطينية مرارا . ثم ابن حوقل (ت : ٩٧٧م) .

وكتبت التاجرة الروسية (أنانا نيكيستينيا) في مخطوطة لها عن هرمز حين أبحرت عبر الخليج العربي متجهة إلى الهند وذلك قبل فاسكو دي جاما بنحو أربعمائة عام أي أنها رحلت في حوالي ١١٠٠م[٦] . وفي حوالي ١٤٧٤م زار السائح والتاجر الروسي (أفانا سي نيفيتين) الخليج العربي في طريقه إلى الهند وكتب عن مسقط يقول : إنها مستودع كبير للبضائع وسكانها من مختلف الجنسيات وقد شكا من كثرة الضرائب الباهظة على البضائع هناك . أما عنوان كتابه فهو (رحلة أفاناسي نيفيتين عبر ثلاثة بحار) .

وفي العصر الحديث : قام بعض الأطباء الروس بزيارة للخليج العربي بمهمات طبية كالحجر الصحي والوقاية من مرض الطاعون وعلاج المرضى وربما اتخذ هؤلاء من الطب والعلاج ستارا يخفون به أهدافهم السياسية لأن مرض الطاعون انتشر في الهند عام ١٨٩٦م ولم يظهر في منطقة الخليج إلا في عام ١٨٩٩م بينما بدأت روسيا بإرسال البعثات الطبية في عام ١٨٩٧م حسب تقارير المقيمين السياسيين الإنجليز الذين أنكروا قيام الأطباء الروس بمهمات طبية ومنهم (آدموف) الذي قدم إلى الخليج وبصحبته طبيبان فلم يكن (آدموف) طبيبا حسب قول المقيم السياسي البريطاني في الجزيرة العربية[٧] . وورد في وثيقة عثمانية صحية مرفوعة إلى وزارة الداخلية مؤرخة في ١٢ نوفمبر ١٣٢٩ رومي الموافق ١٩١٤م تشكيل هيئة صحية تتألف من شهاب الدين الطبيب العثماني والطبيب (فلامو) مندوبا عن إنجلترا والطبيب (والتر) عن روسيا و(شونبرج) عن ألمانيا و (صاموئيل خان) عن إيران وذلك للإشراف على إقامة محاجر صحية في البصرة وعلى حدود إيران[٨] . ومثل ذلك ما قام به القبطان (دافلتشين) حين حج في عام ١٨٩٩م وكتب تقريرا عن الأحوال في الحجاز . وكذلك ما كتبه البروفسور (بوغويا فلينيسكي) عضو الجمعية العالمية لهواة العلوم الطبيعية والذي زار الخليج واتصل ببعض شيوخه وسلاطينه ثم كتب

مذكراته التي نجد فيها ما يعكس أهدافا سياسية وكان مصورا محترفا ويحضر من كل رحلاته عددا كبيرا من الصور الفوتوغرافية يعرضها على طلابه بجامعة موسكو وله مقالة بعنوان (صيد أو استخراج اللؤلؤ حول جزيرة البحرين) منشور في إحدى المجلات العلمية كذلك له مقالة بعنوان (في ربوع شواطئ الخليج العربي) نشرت على صفحات جريدة روسكيا فيدو موستي (الأخبار الروسية)[٩] .

ولما كانت كل دولة تتأثر علاقاتها مع الدول الأخرى بحكم (الموقع الجغرافي) ثم (المصالح الاقتصادية والسياسية والعقائدية والأمنية) فغالبا ما يكون للدول (المجاورة) كبير الأثر على العلاقات سلبا أو إيجابا أكثر منها على الدول التي هي (متباعدة) عن بعضها البعض وكذلك فإن أهم ما تحافظ عليه الدول هو دعم (أمنها) و (حفظ مصالحها الاقتصادية) وفي معظم الأحيان يكون فيما يقع من أحداث في الدول المجاورة تأثير على البعض الآخر اقتصاديا وسياسيا وأمنيا، لذلك فقد انشغلت روسيا بأفغانستان وإيران واليابان والقفقاس لتجاور هذه الدول لها أكثر من انشغالها أو اهتمامها بالخليج العربي أو الجزيرة العربية أو المحيط الهندي لبعد هذه المناطق عن روسيا . هذا من جهة (الموقع)، أما من (الناحية الاقتصادية) فلم يكن للخليج العربي والجزيرة العربية قبل اكتشاف النفط وتسويقه أهمية بالنسبة لروسيا ومع ذلك فقد كانت روسيا تحاول أن تحصل لها على موانئ على الخليج العربي لرسو سفنها التي تنقل الحجاج والبضائع من (أوديسا) إلى الخليج العربي . ولما زار رجل الأعمال الروسي (كوسيخ) الخليج زاد الاتصال وخاصة تجارة الدامور الذي قلدته على أنه سلعة روسية[١٠] . ثم بدأت بفتح (قنصليات) وشرعت بتحقيق مشاريع مد (سكك الحديد) ومد (أنابيب لنقل الكيروسين) عبر إيران للخليج، وهنا تقف بريطانيا موقفا يمنع روسيا أن تحقق ما تصبو إليه اقتصاديا أو سياسيا . وفي يونيو عام ١٩٠٠م نشرت بريطانيا أخبارا عن تحركات رحالة روسي اسمه (بيلينبرغ) في الجزيرة العربية[١١] . وأن روسيا تحاول إثارة المتاعب لبريطانيا وإضعاف النفوذ

العثماني وتشجيع الحكام المحليين في الخليج العربي والجزيرة العربية[١٢] وشهد أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تنافسا سياسيا واقتصاديا بين الدول الأوروبية كروسيا وألمانيا وفرنسا وهولندا من جهة وبريطانيا من جهة أخرى، وكان الوضع أشبه بحالة المد والجزر بين هاتيك الدول منفردة أو مجتمعة ضد بريطانيا صاحبة الكلمة والسلطة والنفوذ في الخليج العربي منذ بداية القرن السابع عشر . وقد حاولت الدول الأوروبية المذكورة التعاون مع الدولة العثمانية أحيانا لتقليص نفوذ بريطانيا في الخليج العربي . واتفقت روسيا مع فرنسا عام ١٨٩٢م مما اضطر بريطانيا لاتباع سياسة التقارب مع روسيا لكي تتخلص من الخطر الألماني فلا يصل الألمان للخليج . وفي الوقت نفسه فإن روسيا استمرت في محاولاتها للوصول إلى الخليج، ثم إيجاد موانئ لرسو سفنها، وتزويدها بالفحم، ولتكون سوقا تجارية لبضائعها، فمن محاولاتها للوصول إلى الخليج العربي عن طريق مد (سكة حديد) عبر إيران من بحر قزوين . أو مد سكة حديد من طرابلس الشام عبر بغداد فالبصرة ثم الكويت . وأخذت روسيا تحاول (كسب ود الحكام العرب) في الخليج والجزيرة العربية وقد وجدت لديهم تجاوبا حينما رأى الخليجيون الطرادات الحربية الروسية الضخمة المزودة بالأنوار الكهربائية التي تفتقدها السفن البريطانية . ولما كانت بريطانيا مشغولة بحربها في جنوب أفريقيا فقد وجدت روسيا الفرصة سانحة لتحقيق محاولاتها للولوج إلى الخليج العربي، وهنا ثارت الصحف البريطانية داعية لإيقاف التيار الروسي الذي أخذ يهدد مصالح بريطانيا في الخليج العربي وذلك بتسيير (السفن الروسية في الخليج العربي) أو محاولاتها (فتح قنصليات) في موانئ الخليج أو (مراكز لتزويد سفنها بالفحم) وأهم من ذلك المشروع الذي قدمه الكونت الروسي (فلاديمير كابنست) والذي يقضي (بمد سكة حديد) من طرابلس الشام إلى الكويت عبر العراق . والمشروع الآخر وهو مد سكة حديد من بحر قزوين عبر إيران إلى الخليج العربي .

فأما سكة الحديد من بحر قزوين عبر إيران إلى الخليج العربي فإن

المهندس (سابينزا) قدم المشروع لكنه لم يسفر عن أية نتيجة . وهكذا فشل الروس في تحقيق أهدافهم فيما عدا نقل بعض المسافرين والحجاج على السفن الروسية من (أوديسا) إلى بعض موانئ الخليج والبحر الأحمر مثل السفن (كورنيلوف) و (اسكولد) و (فارياج) و (بويارين) وكانت زيارات هذه السفن لموانئ الخليج تقلق بريطانيا خشية تحقيق أهدافها[١٣] . كما تقلق الدولة العثمانية . فقد أرسلت مذكرة من الصدر الأعظم إلى الديوان الهمايوني في العرض على السلطان ما جاء في برقيتي والي البصرة محسن باشا حول تجول بعض السفن الحربية الأجنبية في خليج البصرة منها الإنجليزية ومنها الروسية[١٤] . وانشغل الأسطول الروسي في بحر البلطيق والبحر الأسود والحرب اليابانية الروسية عام ١٩٠٥م وقد خرجت منها روسيا منهزمة، فنشطت بريطانيا لعقد اتفاقيةمع روسيا عام ١٩٠٧م سميت باتفاقية (جراي اسفولسكي) والتي بموجبها قسمت إيران إلى منطقتي نفوذ أصبح القسم الشمالي لروسيا والجنوبي لبريطانيا، فاطمأنت بريطانيا من عدم وصول روسيا إلى موانئ الخليج العربي . ومع ذلك فإن بريطانيا خشيت أن تصل قوات روسية عن طريق الممرات في إيران إلى جنوب الخليج لذا ألغت الاتفاقية عام ١٩٢١م حين أعلنت روسيا عن تخليها عن حقوق القياصرة الروس في إيران[١٥] . هكذا تضاءلت أحلام روسيا القيصرية فلم تحقق ما رسمه لها (بطرس الأكبر) الذي قال للروس : (توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى)[١٦] . ولا قول وزير خارجية روسيا (لامزدورف) : بأن السياسة العامة لروسيا القيصرية هي أولا وقبل كل شيء آسيوية)[١٧] . فقد كان هناك صعوبات أمام تحقيق ما رسمه بطرس الأكبر . لأن (المناخ) في الخليج العربي شديد الحرارة خاصة في الصيف مع الرطوبة العالية مما تعذر معه بقاء الملاحين والتجار والرحالة والمبتعثين السياسيين لمدة طويلة خاصة في موسم الصيف الذي يدوم لمعظم أشهر السنة . ثم (قلة عمق المياه) في الخليج وخاصة عند الموانئ مما اضطر السفينة (كورنيلوف) أن تفرغ بعض حمولتها

حين أبحرت إلى مسقط في مارس ١٩٠١م فأفرغت ١٢,٥٠٠ طرد من الكيروسين والسكر والقطن والحرير والأواني الخزفية وحاول الروس بيعها للسكان المحليين ولكن دون جدوى فخسر الروس ولم يعودوا لمثلها .

ثم (موقف بريطانيا) التي سبق لها أن أقامت قواعد منذ القرن السابع عشر عن طريق (شركة الهند الشرقية) فكثرت سفنها التجارية وقواتها البحرية الحربية التي استطاعت أن تمنع السفن الروسية وفق إجراءات سياسية محكمة بحيث لم تستطع أية قوة خارجية أن تبني لها ولو محطة تموين أو مركز في الخليج لتزويد السفن بالفحم(١٨) . ثم أن المناورات البحرية للسفن البريطانية وفرض السيطرة على السكان في الخليج أثر على الناس بحيث آمنوا بسيادة بريطانيا دون غيرها على المنطقة لأنهم لم يروا قوة أخرى تنافسها ، وكلما رأت بريطانيا من روسيا نشاطا اقتصاديا أو دبلوماسيا أثار ذلك رعبها حتى أن (اللورد كيرزن) اعتبر : أي وزير بريطاني يتنازل أو يتخلى لروسيا عن ميناء بالخليج خائنا لبلاده .إلا أن العثمانيين قدموا التسهيلات للروس في الخليج العربي مقابل دعم الروس لهم حين أرادوا المحافظة على الدولة العثمانية بدلا من تقسيمها ، وعلى عكس ذلك فإن بريطانيا أرادت تقسيمها وإسقاطها(١٩) . ورغم ما واجهته روسيا من صعوبات فقد واصلت محاولاتها للوصول إلى الخليج العربي ونجحت إلى حد ما بواسطة الطرق الدبلوماسية ، كإرسال (البعثات والاتصالات الدبلوماسية) التي أجرتها روسيا مع الدولة العثمانية ذات النفوذ في بعض مناطق الخليج ، وكذلك سعت روسيا (لفتح قنصليات) لها في بوشهر وتعيين (أوفسيينكو) المعروف بنشاطه ، فقد لعب دورا دبلوماسيا هاما في الخليج العربي(٢٠) . وكانت روسيا تستغل الفرص حين تواجه بريطانيا أية صعوبات ، فحين انشغلت بريطانيا في حربها مع جنوب أفريقيا في الفترة بين عام ١٨٩٩ - ١٩٠٢م اتجهت روسيا لتقوية نفوذها اقتصاديا في الخليج العربي واهتمت خاصة بمد السكك الحديدية (عبر فارس) من بحر قزوين إلى الخليج العربي بتشجيع من وزير المالية الروسي (دي وايت) على ضرورة مد السكك

الحديدية للخليج عبر فارس بينما لم يشجع (مورافيوف) وزير خارجية روسيا المشروع . وقد بدأ هذا المشروع في عام ١٩٠٠م مما أثار رعب الإنجليز .

وقد سبق أن حصل الروسي (تانكريد) على امتياز لمد سكة حديد تمتد من (طرابلس الشام) على البحر المتوسط إلى البصرة وذلك عام ١٨٨٣م، ولكن وفاة (تانكريد) أدت إلى قبر المشروع[٢١] . وفضل السلطان العثماني في عام ١٨٩٨ و ١٨٩٩م منح امتياز مد السكك الحديدية لألمانيا . كما قدم المهندس الروسي (الكونت فلاديمير) مشروعا بربط الخليج العربي بالبحر المتوسط وذلك في ٣٠ ديسمبر ١٨٩٨م على أن تكون نهاية الخط الحديدي في الكويت فأحاله السلطان العثماني لوزير الأشغال العمومية فتأجل تنفيذه بينما أسرعت بريطانيا بعقد اتفاقية عام ١٨٩٩م مع شيخ الكويت الذي عارض اقتراح إنشاء محطة لسكة الحديد في أراضيه .

كما أن مشروع (كابنست) الذي أراد إحياء مشروع سكة حديد من طرابلس الشام إلى البصرة قد فشل هو الآخر وذلك لعدم تمكن روسيا من تمويله من جهة ومعارضة بريطانيا وألمانيا من جهة أخرى . وفي ١٣١٧ رومي الموافق ١٩٠١ - ١٩٠٢م/١٣١٧ -١٣١٨هـ قدم (جاويد بك) نجل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) خليل رفعت، قدم اقتراحا يتعلق بمشروع مد خط سكة حديد بين (استنبول عبر بغداد إلى البصرة) على الخليج العربي ويقتضي بتكليف ألماني بمد الخط وتأجيره لهم لتشغيله بعد انتهاء العمل فيه فوافق السلطان العثماني على هذا المشروع وشكره إمبراطور ألمانيا لتأييده للمشروع وذلك لأهميته من الناحية العسكرية والسياسية والاقتصادية والتجارية، وقد كتبت لائحة تقع في اثنتي عشرة مادة بخصوص مد سكة الحديد من استنبول إلى البصرة بطول ١٥٠٠ كيلومتر وذلك باتجاهين[٢٢]، وقد تحقق هذا المشروع . وفي وثيقة عثمانية قدمها وكيل شاهبندر لندن خليل خالد إلى السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) بتاريخ ٢١ فبراير (شباط ١٣١٣رومي الموافق ١٣١٤هـ/١٨٩٧م وتقع في ١٣ صفحة استهلها ببيان السبب لتقديمها إلى السلطان، ثم أهمية

الخليج العربي وموقعه بين قارتي آسيا وأفريقيا، وأن قسما من الخليج العربي واقع تحت نفوذ الدولة العثمانية، وأن الإنجليز يخططون للاستيلاء على نواحي الخليج منذ أمد بعيد وذلك يعني القضاء على الدولة العثمانية مستدلا بما يأتي :

١ - أن إنجلترا واثقة من أن (الدولة العثمانية) لن تستطيع الوقوف في وجه الأطماع التوسعية الروسية .

٢ - أن التجارة الإنجليزية مع الممالك العثمانية في انخفاض مستمر بالنسبة للتجارة الروسية مع الممالك التي احتلها الروس من الدولة العلية .

٣ - يعتقد الإنجليز جميعهم بصورة عامة زوال كل مانع كان يقف في وجه الروس لتحقيق أطماعهم في احتلال عاصمة السلطنة العثمانية، وذلك لأن البحر الأسود أصبح كبحيرة روسية والأسطول العثماني ضعيف ولا توجد لدى الإنجليز أية معارضة لاحتلال روسيا للعاصمة العثمانية استنبول وأن الكنيسة البريطانية ترغب وبدون شك في أن تعود (أياصوفيا) إلى سابق عهدها معبدا للنصارى على حد قول اللورد (روزبري) في خطابه الذي ألقاه في العام الماضي .

٤ - أن الاحتلال الروسي للممالك العثمانية يجر على روسيا غوائل عظيمة تضعف من شأنها لأن سكانها من المسلمين سيثورون عليها مما يسبب متاعب لروسيا .

٥ - يرى الإنجليز أن انتشار الخلافة الإسلامية بين المسلمين أمر يتعارض مع مصالحهم المستقبلية فلابد من إضعاف النفوذ العثماني والسعي إلى تقوية نفوذهم في الخليج العربي .

٦ - ولابد من (إصلاح الجهاز الإداري) في الأماكن التالية من الدولة العثمانية . ثم (تنشيط التجارة) فيها و (تقوية الأسطول العثماني) خاصة في الخليج العربي لرفع معنويات المسلمين هناك وتشغيل السفن التجارية العثمانية لقطع الطريق على الشركات الإنجليزية العاملة عناك .

٧ - توصيل (الخط الحديدي من استنبول إلى خليج البصرة) .

وختم الشهبندر (خليل خالد) بقوله وهذه الإصلاحات لابد منها قبل فوات الأوان(٢٣) .

العلاقات التاريخية بين البحرين وروسيا

ورد عند بعض الباحثين ممن نقلوا عن لوريمر القول : هذا ولم يعرف للروس أي نشاط في البحرين سوى زيارة واحدة قام بها بعض العلماء الروس ١٩٠٢م ولم تتكرر مثل هذه المحاولات بعدئذ[٢٤] . ولدى رجوعنا للوثائق والمصادر التاريخية لاحظنا أن لوريمر ذكر : أن اثنين من الروس زارا البحرين في أكتوبر ١٨٩٩م وأقاما فيها مدة إلى شهر ديسمبر من عام ١٨٩٩م[٢٥] .

وكان رد فعل بريطانيا يتمثل في مذكرة (كرزن) التي قدمها في ٢١ سبتمبر ١٨٩٩م لدائرة الهند والتي طلب فيها إيضاح موقف بريطانيا من التدخل (الروسي) والفرنسي والألماني والعثماني في الخليج وطلب من شيخ البحرين تنفيذ التزاماته وفق الاتفاقيات المبرمة مع بريطانيا بعدم تدخل الدول الأخرى (كروسيا) وذلك حين رأت أن أمير البحرين (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة) لا يمتثل لنصيحة الضباط الإنجليز ويتسامح مع العثمانيين والفرنسيين وغيرهم لرغبته في جعل التجارة حرة مع البحرين، وكان يعارض الضغط البريطاني على بلاده . لذا اقترح الإنجليز تعيين (مقيم) جديد في البحرين، ومنحه صلاحيات أوسع في الشئون التجارية رغم أن ذلك يعد تدخلا في الشئون الداخلية[٢٦] .وأرسل القنصل الروسي ببغداد (كروغلوف) برقية إلى السفير الروسي في القسطنطينية (زينوفييف) حول مأمورية (صبير ميا طنيكوف) ومرافقه للخليج العربي فغادر هذا السائح الروسي بغداد في ٢٠ يوليو ١٩٠٠م وكتب عن الكويت و (البحرين) وغيرهما بعد أن قضى سبعة أيام في الكويت وتعرف على البلد وحكامه، ثم نشر كتابه عام ١٩٠٧م بعنوان انطباعات عن الخليج العربي)[٢٧] . وتحدثنا (الوثيقة العثمانية) في مارس ١٩٠٠م عن تجوال بعض السفن الحربية الأجنبية ومنها السفن الإنجليزية والروسية في الخليج[٢٨] . . وفي ١١ أبريل ١٩٠١م وصل اليخت البلجيكي (سليكا) إلى البحرين وكان (يحمل فريقا) روسيا برئاسة موظف فرنسي مهتم بأبحاث في

التاريخ الطبيعي . وسبق أن بعث الكولونيل الإنجليزي (كمبال) برقية في ٢ أبريل ١٩٠١م ذكر فيها بأن لديه ما يبرر الاعتقاد بأن زيارة (سليكا) للخليج كانت لغرض استطلاع روسيا لمصائد اللؤلؤ وخاصة في البحرين . وفي ١٢ أبريل ١٩٠١م قام فريق من القادمين في اليخت بزيارة شيخ البحرين (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة) ومن ثم قام الفريق بالاستفسار عن الأوضاع التجارية السائدة في البحرين وجمع عينات من الأقمشة والسكر وصناعات الزجاج، وسأل واحد من أعضاء الفريق وهو الملازم (استريث) الشيخ : لماذا يمنع البلجيكيين في البحرين من ممارسة التجارة ؟ فقال شيخ البحرين : بأنه ليس هناك أي قيود على أحد في ممارسة التجارة . فطلب الإذن بذلك كتابيا من الشيخ، لكن شيخ البحرين رفض ذلك فغادر اليخت (سليكا) البحرين في ٢٠ أبريل ١٩٠١م ثم توجه إلى مسقط وأبوظبي . . ثم زارت السفينة (سليكا) البحرين ثانية في أكتوبر ١٩٠١م وغادرتها في ١٢نوفمبر وقد أخبر قبطان اليخت مستر (جاسكين) نائب الوكيل السياسي في البحرين بأنه وزملاؤه الروس اشتروا لآلئ في المرة الأخيرة بحوالي ٣٠٠٠ فرنك وأن أعضاء الفريق الروسي ربحوا ربحا مضاعفا بلغ ١٠٠٪ بعد أن باعوها في أوروبا، ولما عاد الفريق مرة أخرى وجد الأسعار مرتفعة جدا فاستثمر ٣٠٠٠ روبية فقط في شراء اللؤلؤ، ولكن الفريق أصيب بخيبة أمل لخسارته فصمم ألا يكرر التجربة، وأضاف قائلا بأن أصحاب السفينة (سليكا) قرروا عدم ممارسة التجارة في الخليج(٢٩) .

هذه بعض صور النشاط الروسي الذي سبق عام ١٩٠٢م لذا فليس صحيحا القول بأن زيارة واحدة قام بها الروس (للبحرين) عام ١٩٠٢م بل سبقتها زيارات في ١٨٩٩ و ١٩٠٠ و ١٩٠١م . وقد تكشف لنا (الوثائق الروسية) زيارات قبلها مستقبلا .

وقام (سيريبيانيكوف) الروسي بزيارة للبحرين في يناير ١٩٠٢م والتقط صورا كثيرة منها، وحسب قوله أنه مجرد سائح فحسب جاء من آسيا وتركيا وهو في طريقه إلى كل من الهند وسيلان والصين وينوي نشر قصة رحلاته في صحيفة روسية(٣٠) .

أما زيارة العالم (نيقولاي بوغويافلنسكي) سكرتير لجنة نظمتها جامعة موسكو فقد ورد في (سالدانها) أنه عالم (جيولوجي) كما ذكره الدكتور (غينادي) على أنه موظف في المتحف الجيولوجي علما بأن علم الجيولوجيا يختص بدراسة طبقات الأرض بينما علم (البيولوجي) يختص بالأبحاث العلمية الخاصة بعلم الحيوانات ومنها المائية وقد توجه إلى البحرين في ١٣ مايو ١٩٠٢م على حد قول (سالدانها) بينما ذكر الدكتور غينادي أن رحلة بوغويا فلنسكي تمت من مارس إلى مايو من عام ١٩٠٢م وكان يحمل معه رسالة تقدمه إلى أمير البحرين (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة) أرسلها القنصل الروسي (أوفسيينكو) في بوشهر وقام بزيارة الشيخ وأمضى بعض الوقت في جمع عينات من الحيوانات وصور للمدينة ومداخلها[٣١] .

وحين ذكر الدكتور (رزفان) زيارة العالم بوغويافلنسكي قال : العالم بوغويافلنسكي وصل البحرين وهو يحمل رسالة إلى الشيخ (محمد بن عبد الوهاب باشا) استلمها العالم من سديد السلطنة بواسطة القنصل العام في بوشهر (أوفسيينكو) وأنه سلمها إلى محمد بن عبد الوهاب في (٣٠ أبريل ١٩٠٢م) ويستطرد بقوله واستقبلني الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عيسى شيخ البحرين، وقد تشرفت بالإبلاغ عنهما إلى القنصل العام الروسي في بوشهر في رسالة خاصة بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٠٢م . وقال الدكتور (رزفان) أنه رحل إلى منطقة لم يزرها أحد من البيولوجيين قبله، وتمت رحلته في مارس وحتى شهر مايو ١٩٠٢م وكان موفدا من الجمعية العلمية في جامعة موسكو والتقى بما يسميه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو (الفيحاني) وقال أنه يعيش في (درهنة) والصحيح في (دارين) وهو موضع في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وغالبا ما يسافر إلى الحجاز[٣٢] .

أما (محمد بن عبد الوهاب) الوارد ذكره فربما هو حفيد محمد بن ناصر (الفيحاني)، و (الفياحين) هم فرع من عشيرة سبيع، وسكن الفيحاني (الغارية) في ساحل قطر الشمالي ثم اختلف مع الشيخ (قاسم آل ثاني)، وحدثت بينهما معركة سميت (بوقعة الغارية) في عام ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٦م فلجأ الفيحاني

إلى الوالي العثماني في الأحساء ثم استقر به المطاف في (دارين) . ولقد أفادنا الباحث حين ترجم هذه الوثيقة ونشرها إن بوغويا فلنسكي سلم للفيحاني رسالة توصية في ٣٠ أبريل ١٩٠٢م وعرفنا أن الفيحاني عمر إلى ذلك التاريخ وأنه كان مقربا وقتئذ للشيخ (عيسى بن علي آل خليفة)الذي حكم البحرين بين سنتي (١٨٦٩ - ١٩٣٢م) كما أن الفيحاني هو الذي رتب اللقاء بين الشيخ (عيسى بن علي) و (بوغويافلنسكي) وسلمه الرسالة من القنصل العام الروسي في بوشهر (افسيينكو) .

وأضاف (لوريمر) أن بوغويافلينسكي عالم فقط ولكن كتاباته تدل على اهتماماته السياسية فقد كتب هذا العالم أن هناك رغبة قوية عند شعوب المنطقة في إيجاد علاقة متينة مع روسيا مستندا على تصريح لشيخ البحرين وقتئذ يقول : إن العرب يخشون الإنجليز هنا منذ مائة عام والكل يعلم أنهم يملكون المدافع والبواخر الحربية وليس هناك دولة أوروبية جاءت إلى هذه المنطقة يمكنها أن تساعد العرب فيما إذا رفضوا العمل حسب رغبة الإنجليز، فإذا استمر الروس في المجيء إلى هنا فإن العرب ستقل مخاوفهم بصورة تدريجية من الإنجليز، وكان بوجويافلنسكي على ظهر الطراد (فارياك) [٣٣] ولما التقى ضابط الأركان العامة الروسي (بافلاتشين) كتب وصفا لزيارته للبحرين وسلم رسالة من (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة) إلى القنصل العام الروسي (أوفسيينكو) بعد أن تشرف بزيارة سمو الشيخ في قصره وسلمه الشيخ جوابا إلى القنصل العام الروسي في بوشهر مؤرخا في ٣٠ أبريل ١٩٠٢م[٣٤] . وقد عثرت على الرسالة وهي محفوظة في (مركز الوثائق التاريخية بالبحرين) مؤرخة في غرة ربيع أول ١٣٢١هـ الموافق ٢٨ مايو ١٩٠٣م .

وأجاب الشيخ عيسى بن علي آل خليفة برسالة إلى أوفسيينكو القنصل العام المقيم في الخليج لدولة روسيا الفخيمة مؤرخة في ٩ ربيع أول ١٣٢١هـ الموافق ٥ يونيو ١٩٠٣م .

وأن ما كتبه بوغويافلنسكي هو شهادات قيمة تعبر عن لمسات للصلات الدولية بين شعب روسيا وشعب الخليج العربي، وقد أورد وصفا وافيا عن عمليات استخراج اللؤلؤ حول جزر

البحرين وقام بتصوير مناظر طبيعية وأشخاصا من الخليج العربي . وكان الإنجليز يظنونه يتجسس لصالح روسيا فوضعوا العراقيل أمامه وأوقفوا حقائبه في الجمرك . وعطلوا استئجار بيت له في البحرين، وكانوا يؤجلون لقاءه بشيخ البحرين، ولكن جميع هذه الأمور تمت رغم موقف الإنجليز إذ أدخلت حقائبه دون تفتيش بأمر سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إكراما له ولمكانته العلمية، وتم استئجار بيت له واستقبله شيخ البحرين، وكان أول عالم بيولوجي زار البحرين وليس (أول إنسان روسي) عاش في البحرين على حد قول بوغويافلنسكي الذي أشاد بكرم أهل الخليج عامة وأهل البحرين وشيخها بصورة خاصة(٣٥) . وجدير بالذكر فإن زيارة بوغويافلنسكي للبحرين دامت (حوالي أسبوعين) على ما ذكره البعض نقلا عن لوريمر وقيل (ثلاثة أسابيع) إذ استؤجر له بيت في البحرين لمدة ثلاثة أسابيع وكان قد قضى قبلها أياما في غرفة بخان بيت القوافل . وكانت الزيارة في مهمة علمية في شهر مايو ١٩٠٢م التقى خلالها بشيخ البحرين وقدم له المجمع الإمبراطوري للتاريخ الطبيعي بموسكو شكره على المساعدات التي لقيها مندوبه خلال عمله في البحرين(٣٦) .

بينما ذكر (الدكتور رزفان) إن بوغويافلنسكي : كان يحمل توصية إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالبحرين من القنصل العام الروسي فوصل البحرين في (١٣ مايو ١٩٠٢م) وأن رحلته تمت في (مارس وحتى شهر مايو) وهنا يحدث التباس كيف أنه وصل في (مايو) ورحلته تمت في (مارس) ؟

أما (سالدنها) فقد ذكر أن عالما روسيا متخصصا في التاريخ الطبيعي وهو (بوغويافلنسكي) قام بزيارة للبحرين في (مايو ١٩٠٣م) لدراسة الحيوانات البحرية ومعه رسالة تعريف من القنصل الروسي في بوشهر(٣٧) .

وقد نقل بوغويافلنسكي مجموعة كبيرة من الحيوانات البحرية إلى المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو بمبناها القديم الواقع أمام الكرملين خلال رحلته، وقال زميله نيقراصوف : أن بوغويافلنسكي قام بتصوير كثير من الصور لأشخاص ومناظر طبيعية من

البحرين . وواجه كثيرا من المتاعب، إذ أن الإنجليز كانوا يظنونه جاسوسا لصالح روسيا . وعاد هذا العالم ليعرض ما رآه وجلبه أمام طلابه في جامعة موسكو . وأهم أمر حصل عليه هو فتح باب العلاقات الحضرية بين روسيا ودول الخليج والجزيرة العربية، وكان يسمي ضيافة الشيوخ له أنها (ضيافة وحفاوة فوق العادة) وهي ليست لشخصه فحسب بل للشعب الروسي[٣٨] .

وكتب بوغويافلنسكي أن البحرينيين كانوا على استعداد أن يطوروا علاقاتهم مع روسيا بمشاهدة السفن التجارية الروسية عند جزر البحرين، ويهتمون بموقف روسيا من الدولة العثمانية ومعرفة حياة المسلمين في روسيا متأثرين بالدعاية الإنجليزية بأنهم يعتقدون بأن الروس يفرقون في المعاملة بين الروس والمسلمين ويجبرونهم على أن يعتنقوا المسيحية . المهم أن كل الصلات التي أقامها بوغويافلنسكي لم تتطور في ذلك الوقت، وجمع بوغويافلنسكي خلال إقامته في البحرين مجموعة من نماذج للتاريخ الطبيعي وصور المدينة وما حولها ثم عاد إلى بوشهر وبندر عباس متجها إلى مسقط التي وصلها في ١٢ يوليو ١٩٠٢م ثم إلى (جوادر فكراجي) .

ثم زار البروفسور بوغويافلنسكي ثانية البحرين في مايو ١٩٠٣م لدراسة الحيوانات البحرية ومعه رسالة من القنصل في بوشهر .

وفي أواخر أغسطس ١٩٠٤م وعند عودة السفينة الروسية (تروفون) زارت البحرين بصورة مفاجئة رغم أن البحرين لم تكن في خط سيرها ومن سوء الحظ لا توجد أي معلومات أخرى حول هذه الزيارة إذ عادت (تروفون) في ١٤ سبتمبر ١٩٠٤م إلى أوديسا عقب رحلتها الثالثة للخليج[٣٩] .

وعاد النشاط الروسي للظهور في البحرين في عام ١٩٢٩م بمظهر تجاري، فقد فتحت (شركة الشرق الروسية) لها وكالة بالبحرين، ورأت بريطانيا في البداية أن يكون الوكيل في البحرين شخصا تثق به بريطانيا . ثم بدأت في معارضة الشركة، وطلب الإنجليز من شيخ البحرين أن يمنع السفن الروسية من الرسو في موانئ بلاده وعدم إنزال حمولتها من السلع الروسية والأشخاص إلى البحرين[٤٠] . وبالفعل أصدر شيخ

البحرين إعلانا بذلك . وجدير بالذكر فقد طلب المقيم البريطاني من المعتمد السياسي في البحرين ألا يكون ذلك الإعلان بتوقيع بلجريف (المستشار الحكومي في البحرين) بل بتوقيع شيخ البحرين وأن يكون باللغة العربية ويوزع بأعداد محدودة مما يفهم منه أن بريطانيا كانت تتعمد التخفي وراء شيخ البحرين في معارضتها للنشاط الروسي، وعدم المواجهة المباشرة مع الاتحاد السوفييتي[٤١] .

وفي ١٢ سبتمبر ١٩١٧م قدم الدكتور م. ل. روتشتين وهو طبيب يهودي من رعايا روسيا القيصرية اقتراحا إلى سفير إنجلترا في باريس يقضي بأن تقوم دول الوفاق الثلاثي وهي إنجلترا وفرنسا وروسيا بإعداد وتنظيم جيش من اليهود تحت قيادته لمساعدة الحلفاء في الحرب لغرض غزو منطقة الخليج ثم العمل على إنشاء دولة يهودية . وأرسل السفير البريطاني في باريس الاقتراح إلى بلفور وزير خارجية بريطانيا فاعتذر إلى روتشتين لأن بريطانيا كانت تخطط لإنشاء دولة يهودية في فلسطين . لأن الخليج وقتئذ أصبح تحت الحماية البريطانية فلا تريد أن تضع مجالا للتنافس الأوروبي فيه[٤٢] .

وجاء في تقرير باللغة الروسية تحت عنوان (وصف مختصر لجزيرة البحرين وتجارتها) كتب عام ١٩٠٥ و ١٩٠٦م محفوظ في أرشيف وزارة الخارجية ويقع في ثماني عشرة صفحة[٤٣] .

ورد في التقرير قوله : استولى البرتغاليون بالقوة على جزر البحرين عام ١٥٠٧م وذلك لاستغلال اللؤلؤ استغلالا صحيحا في مياه الخليج العربي واحترفوا هذه الحرفة ١١٥ سنة ولكن طرد الشاه الفارسي (عباس الصفوي) البرتغاليين عام ١٦٦٢م فاستولى على هذه الجزر ورغم النزاعات الشديدة بين الفرس والقبائل العربية في حق ملكية هذه الجزر واستغلالها فإن الفرس امتلكوها إلى عام ١٧٨٤م وفي هذه السنة استغلت القبائل العربية من العتوب ضعف الفرس ورجعت مجموعة جزر البحرين إلى قبائل عمان العربية .

ولدى رجوعنا للمصادر (البرتغالية والعربية) نجد أن البرتغاليين احتلوا البحرين بقيادة (أنطونيو كوريا) في ٢٧ يوليو ١٥٢١م الموافق ٩٢٨هـ وليس في

عام ١٥٠٧م كما ذكر التقرير الروسي وذلك بعد أن جرح قائد قوات البحرين (مقرن بن أجود بن زامل الجبري) . هذا ما اتفقت على ذكره الوثائق البرتغالية وقد وصفت هذه المعركة الفاصلة . كما ذكرها المؤرخون العرب في المخطوطات والمطبوعات العربية وهم قريبو العهد أو عاصروا تلك الفترة التاريخية أمثال : ابن أياس (المتوفي : ٩٣٠هـ) والجزيري (المتوفى : ٩٧٧هـ) والسخاوي (ت : ٩٠٢ هـ) والسمهودي (ت : ٩١١هـ)(٤٤) . والدليل الآخر على خطأ ما ورد في التقرير الروسي ما ذكره العصامي المتوفى ١١١١هـ فقد ذكر أن أجود بن زامل حج في عام ٩١٢هـ/١٥٠٧م بثلاثين ألفا من أهل البحرين في السنة التي حدثت فيها المعركة الفاصلة للبرتغاليين بالبحرين على حد قول البرتغاليين(٤٥) لذا فإن المعركة لم تحدث في أيام أجود بن زامل . بل في عهد مقرن بن أجود بن زامل الجبري .

أما الشاه الفارسي عباس الصفوي فقد حكم في الفترة بين ١٥٨٧م إلى ١٦٢٨م الموافق من ٩٩٦ إلى ١٠٣٨هـ .

لذا فإن ما ورد في النص الروسي بأن عباس الصفوي قد طرد البرتغاليين من البحرين في عام ١٦٦٢م خطأ لأن وفاته كانت عام ١٦٢٨م أما العام الذي طرد فيه البرتغاليون فكان ١٦٢٢م الموافق ١٠٣٨هـ حتى ١٧٨٣م وليس ١٧٨٤م حيث كان حكام البحرين من أصول عربية يدفعون الإتاوة إلى الدولة الفارسية حين قوتها ويقطعونها في ضعفها(٤٦) حتى عام ١٧٨٣م وهو عام فتح البحرين على يد أحمد بن محمد آل خليفة وهذا هو ما أثبتته الوثائق العثمانية والإنجليزية وأرخها الشاعر بقوله :

(أحمد صار في أوال خليفة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م)(٤٧) ومنذ ذلك الحين عادت البحرين عربية يحكمها آل خليفة .

ويذكر التقرير الروسي : أن شيخ البحرين في عام ١٩٠٥م هو ابن الشيخ عيسى آل خليفة وهذا خطأ فإن الحاكم وقتئذ كان هو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وليس ابنه فقد حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة من ١٨٦٨ - ١٩٣٢م .

وقوله أن سكان المنامة عشرون ألف نسمة وأغلبهم من قبيلة الوهابيين .

وهنا نقول أنه لا يوجد ذكر لقبيلة بهذا الاسم وإنما (السلفيون) هم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية التصحيحية في نجد والذي بدأ دعوته مع الإمام محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٨هـ .

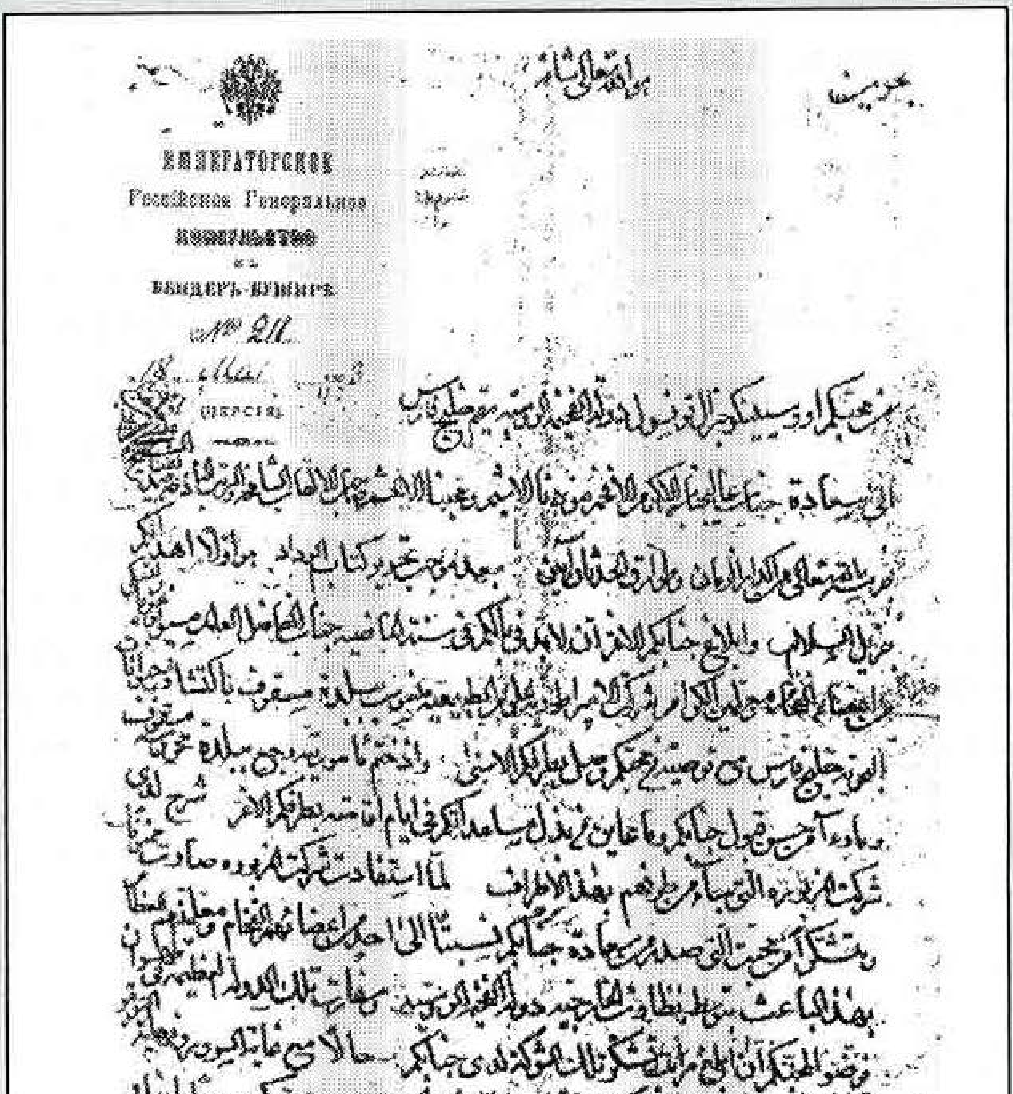
وحين وصف القبور القديمة المقببة في البحرين سمى مدينتين الأولى (ديوران) والأخرى مدينة (بنت) .

والواقع أن (ديوران) و (بنت) هما اللذان نقبا في البحرين في تلك القبور المقببة في منطقة عالي ولا تسمى المنطقة باسميهما وذلك بأن (ديوراند) قام بالتنقيب في البحرين عام ١٨٧٩م وعثر على كتابة مسمارية كتبت على كتلة صخرية بركانية مستخدمة في بناء أحد المساجد من منطقة سوق الخميس في البحرين ويرجع تاريخها إلى عام ٢٠٠٠ ق. م. فقام (هنري رولنسن) بفك رموز الخطوط المسمارية[٤٨] .

وأخيرا ورد قول كاتب التقرير : وفي عام ١٧٨٤م استغلت القبائل العربية من العتوب ضعف الفرس ورجعت مجموعة جزر البحرين إلى قبائل عمان العربية .

وهنا جعل (العتوب) من قبائل عمان العربية والصحيح أن العتوب حلف يضم بطونا وأفخاذا لقبائل عربية نزحت من الهدار في نجد وليسوا من قبائل عمان العربية . وأن عودة البحرين إلى الحظيرة العربية كان عام ١٧٨٣م وليس في عام ١٧٨٤م كما ذكر كاتب التقرير الروسي .

الدكتور علي أباحسين


ИМПЕРАТОРСКОЕ
Россійское Генеральное
Консульство
въ
Бендеръ-Бушире
№ 211
Персія
باسمه تعالى شأنه
من جنابكم اوسيلكوف الجنرال قنسول لدولة الفخيمة الروسية بخليج فارس
الى سعادة جناب عالي الجناب الاكرم الافخم
١٣٢١
٩٥٢

من محبكم اوكستينكو جنرال قونسول دولة الفخيمة الروسية في خليج فارس الى سعادة

جناب عالي الجناب الاكرم الافخم مودتنا الاثيم محبنا الاحشم صاحب الالقاب الشامخة والرتب

الباذخة الشيخ عيسى بن علي المحترم حرسه الله تعالى من الآفات بعد اهداء التحية وفور الوداد آمين نعلمكم

والسؤال عن صحة احوالكم نعرفكم بان وصل الى محبكم كتابكم الكريم المورخ في ٢٢

شهر الماضي والمسيو بوغويافلنسكي لما رجع من عندكم الاغر كثير كان ممنونا

من حسن تلقي جنابكم ... من استيناس ومصاحبة حضرتكم وصادق حبكم

لنا تأدية تشكر منكم بتوسط هذا الكتاب حتى ارادتم هذه الوداد

والمودة من لديكم العالي ونرجو من الله تعالى سلامتكم في كل آن وانجاح

مقاصدكم في كل زمان ودمتم سالمين والسلام في ٢٠ شهر ربيع الاول ١٣٢٠

١١

موافق ٢٧/٦/١٩٠٢م

محبكم

اوكستينكو

الغنيمة السنية تقديم خليفي فارس المحترم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي آل خليفة الى الجناب الاجل الاكرم الافخم محبنا اوفسينكو جنرال قونسل

ابو شهر بعد مزيد السلام التام والسؤال عن صحة احوالكم بالدوام هو ان كتابكم الفخيم المورخ في

٦ شهر ربيع الاول وصلنا وكتابكم مسروريه لاشعاركم بممنونية شركت الامپراطوريه

العلوم الطبيعية العظام على ما اجريناه من التوقير والاحتشام لجناب حضرة اعضائكم

العظام مسيو بوغويافلنسكي الواصل لطرفنا في العام الماضي وان حضرت شركت

لم يبعث بهذا الباعث بتوسط نظارت الخارجية دولت العلية الروسية وسفارة

تلك الدولة العظيمة في طهران فرضوا لجنابكم تبلغوننا تشكراتهم القلبيه

وامتنانهم فنعتقد دليتم بانفاذ مراسم ذلك التشكر كما امتننا من جنابكم محبكم

في هذا الاثنا ومتشكر لحضرات شركت المزبور في العظام ودمتم سالمين والسلام

٢٩ ربيع الاول سنة ١٣٢١

٢٧ مايو ١٩٠٢

مطابق للاصل

ملحق

مسائل الخليج قبل الحرب العالمية الأولى من المنظور البريطاني

مقتطفات من محاضرة ألقاها " لوفات فريزر " رئيس تحرير جريدة "تايمز أوف إنديا" في يناير ١٩٠٨م أمام جمعية آسيا الوسطى

(ترأس الجلسة المستر فالانتاين شيرول)

نص المحاضرة :

إن منطقة الخليج محفوفة بالمشاكل وبعضها يحمل في طياته أهمية بالغة بخصوص مستقبل الإمبراطورية البريطانية . وأود أن أذكر لكم أولا الأساس وراء مطالب بريطانيا لمكانتها الخاصة في الخليج . ووقع حادث أخيرا في جزيرة صغيرة باسم أبو موسى قرب الساحل شد انتباه الصحف البريطانية والألمانية على السواء لحد كبير . ودون ذكر تفاصيل الحادث يكفيني القول بأن الصحف البريطانية أيدت الخطوات التي اتخذتها بريطانيا بهذا الخصوص لكن الصحف الألمانية أعربت عن استنكارها لما حدث كما أعربت عن شكوكها في الموقف الخاص لبريطانيا في هذه المنطقة في وجه الحقائق الثابتة والأمر الواقع .

سبق لبريطانيا أن أعلنت عن موقفها الخاص في الخليج مرات عديدة لكني أعيد إلى أذهانكم ثلاثة إعلانات بهذا الشأن . أولا الإعلان القوي الحاسم الذي صدر عن اللورد كيرزون في كتابه عن "إيران" . وكما تعلمون فإن اللورد كيرزون أكثر إلماما بشئون الخليج

من أي إنجليزي آخر وجاهد أكثر من أي رجل دولـة ليحـافظ ويقوي موقـف بريطانيـا وهيبتها في تلك المياه المكتنفة بالأرض . فكتب كـيرزون : "إنـني أعتـبر أيـة قـوة تمنـح لروسيا امتياز ميناء في الخليج كإهانة سـافرة لبريطانيـا العظمـى وخرقـا متعمـدا للوضـع الراهن وتحريضا واستفزازا صريحا للحرب . وإذا قام بذلك أي وزيـر بريطـاني سـأعتبره خائنا للبلاد وأتهمه أمام القضاء بالخيانة والاستسلام" .

وعلى الرغم من أن هذا الإعلان ينقصه الصياغة الرسمية إلا أنه لم يعدل قط ونفذتـه بريطانيا عمليا في فترة كان كيرزون فيها الحاكم العام وبهذه الصفة كان الحارس الرسمي للخليج . وأمـا الإعـلان الثـاني فقـد كـانت لـه صيغـة رسميـة وقـد أعلـن عنـها اللـورد لانسداون، وزير الخارجية في مجلس الأعيان في ٥ مايو ١٩٠٨م من خـلال رده لخطـاب ألقاه اللورد لامنكتون، محافظ بومباي، الذي أدرك أهمية الخليـج بالنسبة إلى الهنـد . فقال لانسداون : "أقول لكم بالتأكيد دون تردد بـأن إنشـاء أي قـاعدة بحريـة أو مينـاء محصن في الخليج من قبل أية قوة ما عدا بريطانيا يشكل خطرا جسيما لمصالحها وعلينا أن نقاوم ذلك بكافة الوسائل المتاحة لنا" .

إن ذلك البيان الشهير تعبير رسمي لمرادف مذهب مونرو في الشرق الأوسط . وثالثا، في رسـالة كتبـت إلى السـفير البريطـاني في سـان بطرسـبرج في ٢٩ أغسـطس في العـام الماضي(١٩٠٧م) متزامنا مع التوقيع علـى الميثـاق الأنجلـو روسـي جلـب السـير "إدوارد غري" اهتمامنا من جديد إلى المصالح الخاصة البريطانية في الخليج الناجمة عن العمليات التي نظمتها بريطانيا في تلك المياه لأكثر من مائة سنة . وأعلـن بـأن الحكومـة الروسـية أعربت علنا أثناء المحادثات بأنها لم تنكر المصالح الخاصة لبريطانيا في الخليج وأخذت بريطانيا ذلك الاعتراف بعين الاعتبـار . وهـذا هـو أحـدث وأهـم الإعلانـات لأن روسـيا أعلنت ذلك لأول مرة .

فما هي المصالح الخاصة لبريطانيا ومـاذا فعلنـا في هـذه المنطقـة في المـاضي مـبررا موقفنا الخاص فيها ؟

وخلاصة القول باختصار شديد :

أن الإنجليزي الأول الذي زار الخليج كان "رولف فيتش" وزيارته امتدت وشملت كافة مناطق الخليج في عام ١٥٨٣م وهو العام الذي أبرم فيه الاتفاق البريطاني الروسي في عهد الملكة اليزابث . ورافقه في رحلاته ثلاثة من البريطانيين الآخرين . واعتقلتهم السلطات البرتغالية وأرسلتهم إلى "جوا" . وشاء القدر أن البريطانيين الأوائل الذين قدموا إلى الهند دخلوا سجن البرتغاليين فيها وقاموا بدراسة البلاد من خلال قضبانه وتعرفوا عليها . وكان الغرض من زيارة "رولف فيتش" تطوير التجارة وقد أدت زيارته في وقت لاحق إلى إنشاء "شركة الهند الشرقية" . ولم يحدث حتى عام ١٦١٨م أن رفع العلم البريطاني في الخليج . وفي ذلك العام أبحرت سفينة تجارية للشركة لأول مرة من "سورت" إلى "جسك" الواقعة بالقرب من مدخل الخليج ولكنها كما يبدو لم تمر عن طريق هرمز . واستمرت التجارة مع جسك لمدة ثلاث أو أربع سنوات لكن البرتغاليين اتبعوا سياسة التعويق نظرا لأنهم كانوا قد احتلوا جزيرة ومدينة هرمز . ووصلت السياسة التعويقية إلى درجة فاقت صبر الإنجليز وقد تقرر شن هجوم على البرتغاليين . واتفق الإنجليز مع شاه إيران بهذا الشأن وكان الشاه قد أرسل فعلا جيشه لمحاصرة هرمز . ووافق الإنجليز على مساعدة إيران على شرط الحصول على نصف أموال النهب من هرمز . وكذلك نصف المدخول من الجمرك في جمبرون (معروفة حاليا باسم "بندر عباس") وإعفائهم من أي ضرائب جمركية في جمبرون "بندر عباس" .

وكان أحد بنود الاتفاق جديرا بالملاحظة وهو أن الشركة تركز سفينتين حربيتين باستمرار من أجل الدفاع عن الخليج . وفي ١٩ يناير عام ١٦٢٢م قامت قوة بريطانية بمحاصرة قلعة برتغالية في جزيرة كشم الواقعة مقابل هرمز وأجبرتها على الاستسلام . واستسلمت القلعة في أول فبراير عام ١٦٢٢م . وكانت تلك هي المرة الأولى التي نجحت فيها أسلحة بريطانية في الخليج . وفي ٢٣ أبريل ١٦٢٢م استسلمت هرمز وتعرضت للنهب كما أزيلت منها جميع آثار مجدها العريق . ولقد أنشئ مقر بريطاني في بندر عباس ولازلنا ترى قبور البريطانيين الأوائل الذين ماتوا هناك في ضواحي مدينة هرمز. وقد تم إرسال سفينتين حربيتين فعلا لأن إيران لم تمتلك قوة بحرية قط ولم تدرك أهمية

القوة البحرية . وبعد فترة قليلـة رفـع عـدد السـفن مـن اثنتـين إلى خمـس وشـاركت في العمليات التي جرت بينها وبين الهولنديين والبرتغاليين والعـرب ولا مجـال هنـا لذكـر تفاصيل المساعدة البريطانية في طرد البرتغاليين من مسقط . لكنـه مـن الواضـح أن هيبـة بريطانيا في الخليج قد زادت باستمرار طوال القرن وربـع القرن القـادم . وأثـار العلم البريطاني احترام الناس ودهشتهم . غـير أنـه في عـام ١٧٥٩م تعـرض الإنجلـيز لنكسـة مؤقتة عندما دمرت السفن الفرنسـية وعليـها أعـلام هولنديـة، المقـر البريطـاني في بنـدر عباس. وفي عام ١٧٦٢م أنشئ مقر آخر في بوشهر وعقب ست سنوات نجد سفن الشركة البريطانية تساعد إيران في محاولتها للقضاء على القراصنة الذين كانوا قد احتلوا جزيـرة "خراك" . وسنة ١٧٢٢م مشوقة لأن الإنجليز بعثوا بحملـة مـن بومبـاي للخليـج للقيـام بمسح بحري في تلك الميـاه . وفي سنـة ١٧٨٥م تـولى الـملازم "ماكلـير" للقـوات البحريـة الهندية عمليات المسح بأحسن وجه بجدية تامة ووضع أساساً للمسـح البحـري في ميـاه الخليج الذي لا يزال مستمراً حتى اليوم (أي عام ١٩٠٨م وهو تاريخ إلقـاء المحـاضرة) . والخرائط التي أعدت ضمن تلك الحملة ليست إلا نتيجة مبادرة بريطانية .

ومن بين الأمور الأخرى الجديرة بالذكر لتلك الفترة حجز سفينة شـراعية بريطانيـة بصاريين و١٤ مدفعاً تسمى "فلاي" من قبل قرصان فرنسي في مياه جزيرة قيس . وكـان أداء طاقم السفينة بطولياً جاءت تفاصيلها في "تاريخ البحرية الهندية للمؤلـف "لــو" . فذكر "لــو" كيف نقل هؤلاء الأسرى إلى بوشهر حيـث أطلـق سـراحهم . وكيـف جـهز الطاقم مركباً محلياً هناك للسفر إلى بومباي . وكيف قبض عليه الغزاة العرب وظل أسيراً لعدة أشهر في ساحل القرصنة . وكيف كاد أن يقتله الغـزاة فعـرض عليـهم مقابل أمـان إرشادهم لمكان أغرقت فيه السفينة في مياه قيس وعلـى متنـها كنـوز طائلـة، وكيـف فـر الطاقم والقراصنة منهمكون بقتل سكان الجزيرة . وكيف وصل الطاقم إلى البر على ظـهر عارضة خشبية وتمشي من هناك إلى بوشهر عبر ساحل مليء بالأخطار . وقد بقي اثنـان فقط من الطاقم أحياء في آخر الأمر . ونجح الاثنان في الحفاظ على الرسائل الرسمية التي كانت في عهدة الطاقم قبل أسره . واعتبرهـا الطــاقم كواجـب مقدس عليـه أن يحـافظ

عليها . وعقب وصول الاثنين إلى بومباي أكرمتهما الحكومة "بمجرد رسالة شكر" ولم يكن هذا التصرف تصرفا غير اعتيادي من قبل الجهات الرسمية .

وأن ذكر الغزاة يعيد إلى أذهاننا أكبر مهمة تولتها بريطانيا في الخليج أي مكافحة الغزاة . وكانت القبائل تقاتل بعضها البعض في البر والبحر على السواء ولا تتعاون مع بعضها إلا نادرا في نهب سفينة مارة صدفة . ولم تمارس القبائل الغزو بصفة منتظمة وبشكل متواصل حتى قامت الحركة السلفية القوية في الجزيرة العربية بتوحيد صفوفها . وأكثر القبائل جسارة كانت قبيلة "القواسم" بمقرها في رأس الخيمة . وعلى طول ساحل القراصنة وجدت بحيرات ضحلة ومياه راكدة لجأت إليها سفنهم للأمان كما شيدت وراءها قراهم ومدنهم السكنية . وتبنت شركة الهند الشرقية أولا سياسة الابتعاد عنهم تماما وأصدرت الأوامر لسفنها بعدم إطلاق النار عليهم . وحتى بعد تعرض سفينة الشركة المسماة "فايبر" في بوشهر عام ١٧٩٧م للهجوم لم يتحرك الإنجليز ضدهم انتقاما من المعتدين ولكن في حوالي ١٨٠٦م أصبح القواسم أشد عنفا مما أجبر الإنجليز على فرض حصار حول أسطولهم من السفن في جزيرة القشم وقد أدى ذلك إلى عقد اتفاق بين الطرفين في بندر عباس غير أن القواسم لم يحترموا بنود الاتفاق واصلوا أعمال النهب والسلب . وهاجموا طراد الشركة "فيوري" في عام ١٨٠٨م . لكن الهجوم باء بالفشل وتكبد القواسم خسائر فادحة . ولما وصل "فيورى" إلى بومباي وجه حاكم بومباي توبيخا شديدا إلى قائده لتحرشه بالمسالمين العرب الأبرياء . وأصدر أمرا لقادة السفن بعدم إطلاق النار على العرب إلا إذا أطلق العرب النار عليهم أولا وفي حالة عصيان الأمر سيتم طرد قائد السفينة من منصبه . ولم يلجأ القواسم إلى فتح النار قط أولا بل إنهم اعتمدوا على كثرة عددهم للتغلب على مقاومة ضحيتهم وكانت النتيجة محتومة . وفي نفس العام حدث أن مركبا شراعيا "سيلف" يحمل ٨ مدافع وهو جزء من الأسطول الذي نقل بعثة "هارفورد جونز" إلى إيران، عزل عن بقية الأسطول وتعرض للاستيلاء عليه وعلى طاقمه بأسلوب معتاد حين لم يجرؤ قائده على إطلاق النار على المعتدين . مما أغضب حتى حكومة بومباي المسالمة التي اضطرت إلى التحرك ضد هذا التصرف الوحشي . وقد تم إرسال حملة عسكرية إلى رأس الخيمة شاركت فيها الكتائب "يورك" و "لنكستر"

و "نورث لانكشياير" وأحرقت هذه الحملة مدينــة رأس الخيمـة وأسـطول القواسـم علـى بكرة أبيه . ثم عبرت الحملة الخليج ودمرت مدينة لنجة . كما احتلـت قلعـة "لافـت" الواقعة في جزيرة القشم في وسط مضائق "كلارينـس" في عمليـة جريئـة . تعرضـت القـوة المهاجمة أولا للهزيمــة لكـن الإنجليز اندهشـوا لمـا رأوا العلـم البريطـاني يرفـرف علـى جدرانها . وقد بادر ضابط إنجليزي بالاندفاع إلى الأمام في ساعات الليل إلى البر فوجـد أن المدافعين كانوا قد انصرفوا فدخل القلعة ورفـع العلم الإنجليـزي عليـها . وفي وقـت لاحق دمرت الحملة سفن القواسم في كل من الشارقة والمدن الأخرى على ساحل القراصنة . وأخيرا قتل حوالي ألف نسمة من السلفيين في "شيناس"الواقعة على ساحل عمان . وقد كتب القائد السلفي ابن سعود بهذه المناسبة إلى السلطات الإنجليزية قائلا : "في الحقيقة إن الحرب مرة ولا يتورط فيها إلا الأحمق كما قال أحد الشعراء" .

وحتى هذه الحملة لم تلقن الدرس للقواسم . وفي عام ١٨١٢م كانوا يجوبـون البحـار مرة أخرى . وفي عـام ١٨١٥م قبضـوا علـى سـفينة في مكـان بعيد بـالقرب مـن سـاحل "كجرات" الهندي . وفي عام ١٨١٦م وجه الأسطول البريطاني مرة أخرى تهديدا لـرأس الخيمة لكن دون جدوى . وفي عام ١٨١٧م بنى القواسم قلعة في "بسـيدوا" علـى جزيـرة القشم ويرفرف على جزء منـها اليوم العلم البريطـاني . وفي عـام ١٨١٨م كـان القواسم نشطاء على الساحل الغربي للهند . حتى بلغت قوتهم في عام ١٨١٩م أسطولا مكونا من ٦٤ سفينة وقوامه ٧٠٠٠ نسمة بالقرب من سواحل الكجرات . وفاقت خطيئتهم الذروة عندما تقرر تعبئة قوة كبيرة لوضع حد لهذه الظاهرة تحت قيادة السير وليام جرانت كير وانضمت إليها كتيبتان بريطانيتان سبقت لهما المشاركة في العمليـات في الخليج قبـل ٧ سنوات . فتعرضت رأس الخيمة للقصف من المدافـع في البدايـة ومـن ثـم إلى الاقتحـام . وسقط ٣٠٠ من القواسم كما جرح ٧٠٠ منهم . وتم فيما بعد قصف موانئ القواسم الأخرى واحدا تلو الآخر وتدمير تحصيناتها . ودار قتال عنيف في صحار على الساحل العماني . وأخيرا تم التوقيع على معاهدة عامة للصلح في عام ١٨٢٠م ووقـع عليـها قـادة القواسـم . وتذكارا لهذه الحملات المنسية لا تزال تحمل رايـــة الكتيبتين "يـورك" و "لانكاسـتر" كلمة "الجزيرة العربية" .

وفي أعقاب كل هذه الانتصارات من الغريب أن نسمع صوتا يقترح على بريطانيا أن تتخلى عن دورها في الحفاظ على أمن الخليج وتترك الأمور للغزاة ليتصرفوا كما شاءوا . وقد قدم هذا الاقتراح مجردا من الناحية الاقتصادية وبسبب الأموال الطائلة التي تصرف من أجل الأمن لكن محافظ بومباي القوي استنكره بشدة . والعمليات التي نفذها السير وليام جرانت كير قد وجهت ضربة قاضية للقرصنة في الخليج . وحاول بنو ياس ومقرهم الآن في أبوظبي، محاولة يائسة في عام ١٨٣٤م لرفع العلم الأحمر الدموي غير أنها تعرضت للقمع بسرعة . وفي وقت لاحق عقدت اتفاقيات عديدة مع رؤساء القبائل على الساحل المهادن وصيغت هذه الاتفاقيات بشكل الاتفاق العام لسنة ١٨٥٣م وهو ساري المفعول إلى الآن . وفي نفس الوقت لا يمكن القول بأن الغزو انتهى كلية في الخليج . ونسمع عن أعمال الغزو من حين لآخر غير أنها تنبعث من أقاليم تركيا .

لقد عالجت موضوع مكافحة القرصنة من قبل الإنجليز بصراحة وكما قيل حقا لم تكن المكافحة لمجرد الحفاظ على مصالحنا التجارية بل من أجل الرفاه العام وبهذا الأسلوب خدمنا جميع الشعوب وليس شعبنا فقط . ويمتد كفاحنا إلى كبح تجارة الرقيق ولا يزال مستمرا . وكذلك وضعنا حدا لتهريب الأسلحة وتفشي مرض الطاعون في الخليج . ونحافظ على نوع من الهدنة ما بين قادة القبائل ونحمي كلا من البحرين والكويت ضد الاعتداء الخارجي . كما نحمي المراكب المحلية حاملة التمور من النهب وكذلك نحافظ على الأمن في مغاصات اللؤلؤ سنويا في مواسم الغوص . ويدل كل هذا على أننا واجهنا مشاكل متواصلة اقتضت التضحية بالدم والجهد والمال دون مساعدة من أي جهة أخرى . وهذا ما يعطي لنا الحق في أن نطالب بسيادتنا في منطقة الخليج . ولم تحتل بريطانيا قط أيا من الأراضي . ويرفرف علمنا فوق قطعة صغيرة من الأرض في باسيدو وكذلك على محطة تلغراف في جزيرة هنجام فقط . واستفادت شعوب العالم كلها من منجزاتنا وأن آفاق تجارتنا مفتوحة للجميع دون قيد وشرط . وإذا وضعنا لوائح العمل وضعناها للجميع وفرضناها على أنفسنا أولا قبل الآخرين . فلا نتحمل أي منافسة في الخليج ولا نسمح بإيجاد مصالح إقليمية لأي قوة خارجية في الخليج . وبكل صراحة فإن السيطرة الإنجليزية على الخليج جزء لا يتجزأ من سياسة الدفاع عن الهند . وبصفة

عامة فإن مجرد تواجد قوة أخرى في الخليج سواء في موقع محصن أو موقع عادي سيكون له انعكاسات سلبية من ناحية الدفاع عن الهند . ويعتقد الشعب الهندي بأن قوة بريطانيا بدأت تتدهور بعد أن دامت سيطرتها الكاملة لمدة قرن ونصف، فعلينا أن نمنع ذلك ليس لأسباب استراتيجية فحسب بل لأسباب معنوية أيضاً . ولا يخفى علينا بأن موقفنا سيتعرض لضغوط وتحديات أكثر فأكثر .

إنني شخصياً آسف كل الأسف لأن بنود الاتفاقية الأنجلوروسية لا تشرح موقف بريطانيا في الخليج بوضوح مما يجعلها معرضة لسوء التفسير رغم الحقيقة أن روسيا اعترفت بمكانة بريطانيا الخاصة في مياه الخليج لأن المصالح البريطانية لا تقتصر على المياه الخليجية فحسب بل على مساحة واسعة في جنوب إيران بما فيها سهول أصفهان . وكان علينا أن نشير إلى نطاق مصالحنا الخاصة على الخريطة برسم خط يمتد من أصفهان إلى نهر قارون . حتى لا تعطي للناس انطباعاً بأننا لا نهتم بصفة خاصة بمساحة جنوب إيران غربي بندر عباس ونفتح مجالاً للآخرين لكي يدخلوها إذا رغبوا في ذلك . وحسب معلوماتي فإن بنود الاتفاقية كان لها تأثير سلبي على سكان جنوب إيران وعلى مكانتنا لديهم .

ولي بعض الملاحظات الخاصة بخصوص الخليج . أولاً، عن بندر عباس وهو ميناء رديء جداً من حيث الطقس . وحسب قول الرحالة "تافرنيير" فمن النادر جداً لأحد أن يبقى في بندر عباس في شهر أبريل . وأظن أنه مستحيل لبريطانيا أو أي دولة أخرى أن تؤسس قاعدة بحرية أو عسكرية فيه . وكان البعض يعتقد بأن الجبل الذي يمتد حوالي ١٦ ميلاً وراء المدينة قد يكون ملائماً كمصيف . لكن التحقيق الأخير أثبت استحالة مثل هذا الاستخدام . فلا يصلح بندر عباس كقاعدة لأحد إلا من أجل إزعاج بريطانيا . ويقول البعض بأن البرتغاليين كانت لهم قاعدة في مكان قاحل مثل هرمز فلا يستحيل لبريطانيا أن تنشئ قاعدة في بندر عباس . وفي رأيي كانت قاعدة البرتغاليين في هرمز صغيرة جداً وحتى لما بلغت قوتهم الذروة في الشرق أسسوا ٥٢ مؤسسة عبر ١٥,٠٠٠ ميل من السواحل بقوة قوامها ٢٠,٠٠٠ نسمة . وعند سقوط هرمز لم تتجاوز حاميتهم هناك ٢,٥٠٠ نسمة ولم يكونوا كلهم برتغاليين . وأثناء احتلال البرتغاليين لهرمز الذي دام

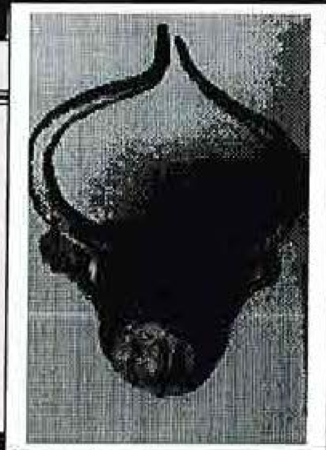
١١٠ أعوام كانت نسبة الوفيات بينهم عالية جداً . لنفس الأسباب فإنني أشك في صلاحية هرمز سواء في الجزيرة أو في البر الرئيسي لتستوعب حامية كبيرة من الجنود الأوروبيين . ولا تنطبق هذه الاعتبارات على الجزر الأخرى بالقرب من بندر عباس . وأذكر على سبيل المثال جزيرة هنجام حيث أسسنا عليها محطة البرقية اللاسلكية أخيراً . وعلى الرغم من أن السلطات الإيرانية لم ترحب بإنشاء محطتنا في هنجام إلا أنها تعتمد أساساً على تدعيمنا .

ولنا قطعة أرض في باسيدو على جزيرة قشم حيث توجد حامية لنا كما سبق لنا أن أسسنا هناك قاعدة للقوات البحرية الهندية منذ ٤٠ عاماً . ولا تزال توجد مبانينا هناك مما يدل على ملاءمتها للسكن . ومضائق "كلارنس" المجاورة مناسبة جداً كمرسى لسفننا . وفي حالة نشوب اضطرابات في منطقة الخليج فسوف يكون لهذه الجزر عند مدخل الخليج بالغ الأهمية . مع رفع علمنا على اثنتين من هذه الجزر يومياً .

ويقع مقابل مدخل الخليج شبه جزيرة مسندم وتتمتع ببعض الحقوق المحددة التي لا لبس فيها . والطقس في مسندم أحسن نسبياً وتكثر فيها الأجرف العميقة مما يجعلها مناسبة لتكون أقوى موقع لمحطة بحرية . مدخل الفنستون وهو خليج ضيق يمتد إلى عدة أميال يخترق أعماق الجبال وله منظر رائع جداً غير أنه قاحل ولا يصلح للسكن حتى للقبائل المحلية في معظم شهور السنة . ولبريطانيا حق الدخول إلى مدخل الفنستون . وتم اكتساب هذا الحق عند مد الكابلات في الخليج . وامتدت الأسلاك إلى مدخل مالكوم في بحيرة العرب عبر خليج مقلب . كما تم إنشاء محطة تلغراف في مدخل الفنستون . ثم نقلت المحطة إلى هنجام بسبب شدة الحرارة في الفنستون . ومن سوء الحظ رغم الميزات الخاصة كملاجئ ممتازة للسفن في هذه الجزر لا يمكن الاستفادة منها إلا مؤقتاً بسبب رداءة الطقس السائدة فيها والتي لا يتحملها حتى المحليين .

ونصل إلى النتيجة بأن جانبي مضيق هرمز سيبقيان كما هما في المستقبل المنظور لكن الأمر ليس كذلك بخصوص الجزء العربي الواقع تحت تصرف تركيا خاصة في البدع في قطر والعقير مقابل البحرين . فهذه الأماكن تملك ميزات خاصة لأية قوة تبادر باستغلالها . وإذا تعرضت سيادتنا في منطقة الخليج للتقويض مستقبلاً فقد تبدأ هذه

العلاقات الحضارية بين العراق



بقلم :

الدكتور حسين أحمد سلمان



القديم والخليج العربي

نمت العلاقات الحضارية بين وادي الرافدين ومنطقة الخليج العربي منذ فترة طويلة لأن أحدهما يكمل الآخر جغرافياً . وأن كثيراً من الخصائص البيئية لمنطقة الخليج ينسحب تأثيرها ليشمل الأقسام الجنوبية للعراق وخاصة ظاهرة المد والجزر وسقوط الأمطار والرياح .[١]

يرتبط العراق القديم بمنطقة الخليج العربي بطرق برية بعد استئناس الجمل في حدود الألف الأول قبل الميلاد واستخدامه في أغراض النقل والتجارة والحروب والمرجح أن الرافديين قد أدركوا الجمل عن طريق الأقسام الجنوبية الغربية للعراق المتاخمة لمنطقة الخليج العربي .[٢]



ولكن أهم الطرق القديمة التي ربطت بلاد الرافدين بدلمون (البحرين) والخليج العربي هي طرق الملاحة النهرية الخليجية ويبرز دور نهر الفرات بهذا الخصوص بسبب امتداده الطويل ومروره بمناطق عديدة من بلاد وادي الرافدين وصلاحيته للملاحة فقد أصبح من الطرق الرئيسية التي ربطت مدن العراق القديم بمدن الخليج العربي وأضحت مدن الفرات (أور وبابل وماري) من أشهر مراكز التجارة مع دلمون (البحرين) . خاصة وأن شروط التجارة الملاحية القديمة كانت مهيأة على السواحل الغربية لمنطقة الخليج العربي لضحالة المياه وكثرة التعرجات والجزر والمرافئ والخلجان الطبيعية وتوفير بعض هذه الجزر سبل التموين ولاسيما المياه العذبة ، إضافة إلى حركة الرياح الملائمة التي تعد شرطاً "أساسياً" أمام حركة الملاحة البحرية القديمة .

وبسبب هذه الخصائص الطبيعية في مياه الخليج العربي فقد أصبح من اليسير على وسائط النقل النهرية أن تواصل رحلاتها صوب منطقة الخليج العربي حيث دلمون ومكان وميلوفا ، وبالعكس تسافر وسائط النقل الخليجية شمالاً في نهر الفرات حيث ماری أو كركميش (طرابلس الحالية) .

ومن الجدير بالذكر أن السواحل العربية والجزر القريبة منها قدمت دلائل الاستيطان وبزوغ الحضارة منذ الألف الرابع قبل الميلاد .

ولا تزال آثار دلمون (البحرين) وقطر وأم النار وغيرها خير شاهد على ذلك . في حين لم يكشف عن دليل يؤكد معالم استيطانية قديمة على امتداد الساحل الإيراني . لوعورته وانعدام المياه العذبة فيه بالإضافة إلى عمق مياه الخليج العربي التي تصل ذروتها بحدود (١٠٠م) مما يشكل عائقاً جدياً أمام الملاحة البحرية القديمة .[٣]

إن هذه الخصائص البيئية لمنطقة الخليج العربي خلقت الفرص المناسبة لارتباطات حضارية تاريخية بين العراق القديم ومنطقة الخليج العربي ، ترجع بدايتها بموجب الأدلة الأثرية إلى حدود الألف الرابع قبل الميلاد .[٤]

ولكن هذه الخصائص المشجعة كانت تنتظر الحاجات المتبادلة التجارية والحضارية ، فأرض سومر (Sumer) يغمرها الرافدان بالخير والعطاء وبالتالي العمل الزراعي الواسع ، ولكنها من جانب آخر تفتقر إلى الأحجار والأخشاب والمعادن لذلك كان من الضروري توفيرها من أماكن مجاورة لتأمين حاجات المجتمع في عملية البناء الحضاري .

وتشير المخلفات الأثرية في أريدو وأور في جنوب العراق إلى كثرة استخدام الأحجار والمعادن التي جاءت بالضرورة من دلمون ومكان من خلال نشاطات تجارية . إضافة إلى أن فيض الإنتاج الزراعي والحيواني لبلاد سومر الذي وجد له أسواقاً رائجة في منطقة الخليج العربي .

ومع مطلع الألف الثالث قبل الميلاد تزدهر المستوطنات القديمة في الخليج العربي مستفيدة من موقعها على طريق الرحلات التجارية ووفرة منتجاتها البحرية من لآلئ وأسماك وأصداف لتبني وفق ذلك مجتمعاً متقدماً في فنونه وعمارته وأفكاره الدينية . وخير مثال على ذلك بلاد دلمون (البحرين) وبقايا معبدها البيضوي (باربار) إضافة إلى المدافن التي تنتشر في أواسط جزيرة البحرين .

وفيما عدا الصلات الوثيقة المتبادلة بين الأقسام المختلفة لمنطقة الخليج العربي والتي تؤيدها المكتشفات الأثرية وأبرزها طرز وعمارة المدافن في الخليج العربي(٥) .

فقد شهدت منطقة الخليج العربي علاقات واسعة مع مدن العراق القديم ، وكانت المبادلات التجارية تجد صداها في النماذج الحضارية المشتركة كما كشفتها مجموعات الأختام المنبسطة في دلمون (البحرين) فالرسوم والأشكال المحفورة على وجوه هذه الأختام تشكل في جوهرها أحياناً موضوعات الأشكال التي تتردد على الأختام الأسطوانية في بلاد وادي الرافدين . وبما أن موضوعات الأختام (المنبسطة والأسطوانية) هي انعكاس للأفكار الدينية والطقوس والمعتقدات فهي آذان تنقل مستوى الاتصالات بين العراق القديم ومنطقة الخليج العربي إلى أبعد

من الاتصالات التجارية بل توحي بأفكار دينية مشتركة وقد تشير إلى أصول بشرية مشتركة أيضاً .

وبسبب العلاقات الحضارية المشتركة بين العراق القديم ومنطقة الخليج العربي فقد تأثر الخليج العربي بالأوضاع السياسية والاقتصادية للعراق القديم فقد كان ازدهار التجارة مع الخليج العربي متزامناً مع فترات الازدهار السياسي والاقتصادي في العراق القديم كما حدث في عهد السلالة الأكدية (٢٣٧١ - ٢٢٥٤ق.م) وعهد سلالة أور الثالثة (٢١١٧ - ٢٠٠٤ق.م) ومطلع العهد البابلي القديم (١٨٠٠ق.م)[٦] . وتستمر مكانة الخليج العربي الاستراتيجية بالعصور المتأخرة فقد اهتم به كثيراً الإسكندر الأكبر وخلفاؤه (٣٣١ - ١٤٤ق.م) ولا تزال آثار الحضارة الهيلنستية منتشرة في التاج وفيلكة ودولة الإمارات العربية . ومما يؤكد أهمية الخليج خلال هذه الفترة ، اهتمام الكتاب والمؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين من يونان ورومان بالحديث عن الخليج العربي ومدنه وآثاره ، وجزره ، ونذكر من بينهم بليني الكبير ، وأريان[٧] .

أوجه الصلات الحضارية بين العراق القديم والخليج العربي

تنحصر العلاقات الحضارية بين وادي الرافدين والخليج العربي في ثلاثة محاور رئيسية هي :

١ - المحور الفكري

===========

يتمثل هذا المحور في الجوانب الفكرية التي تشمل الحياة الدينية والتطورات عن الكون وعلاقة الإنسان بقوى الطبيعة والتي تنسحب تأثيراتها بالضرورة على الحياة المادية للفرد كالعادات والتقاليد والنشاط الزراعي والفني والمعماري وحتى الملابس والأزياء وغيرها ... فالخليج العربي بالنسبة للعراقيين القدماء بحر شروق الشمس (البحر الشرقي) وبعض جزره دلمون (البحرين حالياً) كانت أرض سلام وموطن الآلهة وأرض الخلود والمياه

المتدفقة وموطن الخيرات ، وأهلها في شباب دائم وحيواناتها تسرح في ألفة عجيبة فلا يفترس الذئبُ الضأن ولا يظلم فيها القويُ الضعيفَ ، لذلك فهي في مصاف الفردوس في نظر العراقيين القدماء حسب الأسطورة السومرية . وهي بالإضافة إلى ذلك مرسى لسفن الآلهة والمكان الذي يجلب منه الخشب والتجارة لأبنية معابدها وقصورها في المدن العراقية القديمة[٨] . لذلك يكون طبيعياً أن تمتزج على صعيد الحياة الفكرية أوجه التقارب والتشابه بين العراق القديم ومنطقة الخليج العربي وفق جوانب عززتها العلاقات التجارية المستمرة والمصالح المتبادلة التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد . وعلى هذا الأساس فإن الخليجيين عندما شيدوا معابد لآلهتهم خططوا لها على النسق المعماري العراقي القديم علماً أن شكل وتخطيط المعبد يرتبط أوثق الارتباط بالأفكار الدينية وأسلوب العبادة وطقوسها .

فمعبد باربار في البحرين على سبيل المثال يقدم نموذجاً "حياً" لأوجه العلاقات الفكرية بين العراق القديم ودلمون (البحرين) من حيث قضايا المعبد المستطيل الشكل وأحواض الماء الملتصقة لأحد الجدران والمصطبة البيضوية الشكل للأدوار الثلاثة في بناية المعبد . ويقرنه الباحثون بنمط المعابد البيضوية التي شاعت في العراق القديم في الألف الثالث قبل الميلاد (عصر فجر السجلات) في موقع العبيد وموقع خفاجي في منطقة ديالي .[٩]

إن أهم الآثار التي وجدت في معبد باربار (Barbar) والتي تؤكد الصلات الحضارية الفكرية بين العراق القديم ودلمون (البحرين حالياً) تمثال صغير يتطابق في شكله وأسلوب نحته مع تماثيل الكهنة العراقيين ، وكذلك رأس الثور المكتشف في أنقاض معبد باربار والأختام المنبسطة التي لا تدع مجالاً للشك حول طبيعة الصلات الفكرية وأوجهها المشتركة بين الجانبين[١٠] .

ومع أن الأختام المنبسطة صنعت محلياً واعتمدت على مهارات أبنائها إلا أن موضوعاتها عكست طبيعة المنطقة وصلاتها الخارجية فهي تشترك في بعض الأحيان مع موضوعات الأختام

الأسطوانية العراقية الصنع ، وتبقى مشاهد الشراب والزواج المقدس واستخدام الرموز الدينية والمشاهد الطقوسية في القوارب وأشكال نباتية وحيوانية وهندسية ترتبط أوثق الارتباط بمشاهد الموضوعات التي نجدها على الأختام الأسطوانية العراقية(١١) . وهي تعكس في المنطقتين دون أدنى شك مفاهيم وتصورات دينية مشتركة .

٣ - المحور البشري

إن الوثائق الاقتصادية والمعاملات التجارية المكتشفة(١٢) تفترض بالضرورة قيام علاقات بشرية على شكل جاليات كبيرة في كل من العراق القديم ومنطقة الخليج العربي لكي تتابع كل منها مصالحها المتبادلة في الطرف الآخر كما أن اكتشاف مجاميع من الأختام الأسطوانية العراقية الصنع في الخليج العربي يؤكد وجود تجار عراقيين أو وكلائهم في مدن الخليج العربي القديمة وبخاصة في البحرين ويمكننا تصور عدد السكان الخليجيين في بعض المدن العراقية من مضمون ترنيمة دينية على لسان الإلهة عشتار :

"في أور بيت (معبد) دلمون يعود لي"(١٣) .

وإشارت النصوص التاريخية إلى وصول الدلمونيين والمكانيين والملوخيين مع سفنهم إلى المدن العراقية القديمة وخاصة من فترة العصر الأكدي ،وكذلك ورد ذكرهم في مقدمة قانون أور نحو (٢١١١-٢٠٩٥ق.م)(١٤) وبسبب اتساع الصلات التجارية بين العراق القديم والخليج العربي فقد أطلق على الأشخاص المتخصصين بتجارة الخليج العربي تسمية (Alik Telmun) كان ذلك في مطلع العصر البابلي القديم (١٩٠٠ق.م)واستمر الحال هكذا في العهد الأشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م)والعهد البابلي الحديث (٦١٧-٥٣٩ق.م) .

إن العلاقات البشرية بين وادي الرافدين والخليج العربي تسبق عهد معرفة التدوين في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد وتؤكد ذلك المستوطنات العبيدية التي تنتشر على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي

فيما بين الكويت وشبه جزيرة قطر جنوباً .[15]

إن التحليلات الكيمائية التي أجريت على فخاريات المستوطنات العبيدية الخليجية أكدت أن هذه الفخاريات صنعت من نفس طينة المواقع المعاصرة لها في جنوبي العراق وخاصة مواقع أور وأريدو والعبيد ، مما يؤكد انتقال هذا الفخار بأيدي العراقيين الذاهبين إلى مدن الخليج العربي أو أن الخليجيين قد جلبوه معهم بعد عودتهم من المواقع العبيدية العراقية الجنوبية وبذلك يكشف أوجه العلاقات البشرية بين الطرفين منذ الفترات المبكرة للتاريخ .[16]

٣ - المحور التجاري

يعتبر هذا المحور من أهم المحاور التي تنظم العلاقات الموضوعية المتمثلة في حاجات الطرفين العراق القديم ومدن الخليج العربي وقد أثبتت النصوص الكتابية المسمارية أن تلك العلاقات تعود إلى (٢٥٠٠ق.م) حيث جاءتنا إشارة كتابية صريحة للأمير أور نانشة حاكم مدينة لكش في جنوب العراق القديم يذكر فيها أنه قد جلب مواد أولية من دلمون (البحرين) ومن بينها الأخشاب لبناء معبد للإله ننجرسو في المدينة .[17]

وتبلغ هذه النشاطات ذروتها في عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م) ومطلع العهد البابلي القديم (٢١٠٠-١٨٠٠ق.م) . كما تبرز مدينة أور وميناؤها من بين أهم المدن العراقية القديمة في النشاطات مع المدن الخليجية وخاصة دلمون ومكان وميلوخا . وقد أصبح من المؤكد ارتباط دلمون بالبحرين الحالية وارتباط مكان بشبه جزيرة عمان أو الأقسام الجنوبية الشرقية بالجزيرة العربية . أما ميلوخا فعلى الأرجح مطابقتها مع مراكز الحضارة الهندية القديمة (وادي السند) .[18]

وإشارت النصوص الكتابية المسمارية إلى مواد الاستيراد والتصدير فمقابل الحبوب والأقمشة والملابس والزيوت والجلود حصل العراقيون على الأخشاب والنحاس والأحجار الكريمة والعاج والكحل وأنواع جيدة من التمور واللؤلؤ .[19]

وقد مثل نحاس مكان أحد المواد المهمة في تجارة الخليج العربي ، خاصة بعد اكتشاف الحديد من المستوطنات في أطراف جبال عمان والتي يعود تاريخها إلى حدود الألف الثالث قبل الميلاد حيث كان من أبرز مقومات حياتها الاقتصادية الزراعية القائمة على بناء سدود لاستغلال سيول الوديان وجمع خامات النحاس وصهرها في أفران خاصة كشف عن بقايا في هذه المستوطنات .[٢٠]

إن جميع السلع والبضائع المستوردة العراقية أو الخليجية كانت تنقل بواسطة القوارب والسفن الشراعية القديمة . حيث وجدت هذه الوسائط النهرية القديمة أن شواطئ الخليج العربي الغربية تتفق مع إمكانياتها في الإبحار في مياه الخليج وصولاً إلى مراكز الحضارة الهندية القديمة في حارابا وموهنجودارو .[٢١]

أما من جهة الشمال والشمال الغربي فقد بلغت مدينة ماري (تل الحريري) على نهر الفرات قرب البوكمال ويبدو أن هذه التجارة البحرية كانت تنتقل بعد ذلك من ماري باتجاه سوريه الوسطى والشمالية وصولاً إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط) إن مجاميع الأختام المنبسطة المكتشفة في البحرين تكشف عن الأعداد الكبيرة من سكان الخليج العربي الذين عملوا في الأعمال التجارية أو التهيئة لها فالأختام تمثل هوية أصحابها الرسمية وتقوم في حالة طبعها على رزم البضائع مقام التوقيع على قوائم البضائع المصدرة أو المستوردة إن اكتشاف مجموعة من الأختام الأسطوانية في مناطق الخليج العربي مقابل اكتشاف مجموعة من الأختام المنبسطة الدائرية ذات الأصول الخليجية في المدن العراقية وبخاصة أور تؤكد انتقال أصحابها بين مراكز التصدير والتوريد التجارية للإشراف أو التهيئة أو تنفيذ الأعمال المصرفية وغير ذلك من شئون التجارة .

إن الرحلات التجارية في الخليج العربي كانت مرتبطة بأشخاص معينين تدعوهم النصوص المسمارية (المسافرون إلى دلمون أو ملاحو دلمون) .

وهكذا تكشف المخلفات الأثرية والكتابات المسمارية محاور العلاقات التاريخية بين العراق القديم والخليج

العربي وخاصة دلمون فهي علاقة تقوم على الأبعاد الجغرافية والمصالح المشتركة التي تجد لها تفسيراً في التكامل الاقتصادي أن مجمل العلاقات بين العراق القديم والخليج العربي تأثرت بالأوضاع السياسية القديمة التي أحاطت بالمنطقة آنذاك فقد ضعفت هذه العلاقة أثناء الغزو الأخميني للمنطقة خلال الفترة (٥٣٩-٣٣١ق.م)، ولكن ازدهرت النشاطات التجارية في المنطقة أثناء غزو الإسكندر المقدوني للمنطقة وخلفائه السلوقيين (٣٣١-١٤٤ق.م) حيث تمكن الخليجيون من توسيع نشاط اتصالاتهم مع العراق ليتعدوا إمكانيات النقل المائي إلى طرق القوافل فتنشط حركتهم مع أقسام جزيرة العرب وبابل وسلوقية في العراق(٢٢)، وتزدهر مدينة الجرهاء في الخليج العربي كواحدة من أغنى مدن العرب القديمة لتنافس مدن السبأيين في مدنيتهم وتجارتهم .(٢٣)

د. حسين أحمد سلمان

أستاذ مساعد بكلية التربية

قسم التاريخ - جامعة المستنصرية

الهوامش

1 - Nutzel, L. W., "The formation of Arabian Gulf from (140003500B.C.) Sumer, 1975, PP. 11 FF.

٢ - رضا جواد الهاشمي ، تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد ٢٣ ، ملحق ١٩٧٨ .

3 - Casperse. E,C,L.,(Harappan Trade in the Arabian Gulf in the third Millenniun B.C. Mesopotamia, VII, 1971. PP. 17 off.

4 - Oates, J., (Sea faring Mmerchant of Ur) Antiquity Li,203,1977 PP. 22 Iff.

5 - Frifelt, K., (A possible Link between the Jemdet Nar and the Umman Nar Graves of Oman) Journal of Oman studies Vol. I. 1975, PP. 57 ff.

٦ - رضا جواد الهاشمي ، النشاط التجاري القديم في الخليج العربي وآثاره الحضارية ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد .

7 - Pling : Natural History, Loeb Classical Library, London, 1967, XII, 62.

Strabo ; The Geography of Strabo, London, New York, 1930, XVI.

Avvian, Sanabasis of Alexander and Indica. Vol.II, VII, 19-I,20-8.

8 - Frankfort, H., The Art and Architectureof the Ancient Orient. Penguin Books, 1963,P. 21.

Pritchard, J., Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1969, P. 119.

9 - Frankfort, H., 1963, op. Cit, P. 21.

١٠ - رضا جواد الهاشمي ، النشاط التجاري القديم ، مصدر سابق .

١١ - هشام الصفدي "دراسة مقارنة لأختام الخليج العربي" المنهل ، مجلد ٤٠ ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٧٩ ، ص ٧١٤ .

١٢ - رضا جواد الهاشمي ، النشاط التجاري القديم ، مصدر سابق .

13 - Pritchard, J., 1969, op. Cit, P. 579.

14 - IbidIbid, P. 268, 523.

١٥ - العبيد : موقع أثري عراقي قديم يبعد ١٠ كم غربي مدينة أور في محافظة ذي قار حالياً وتعود مخلفاته الأثرية إلى حوالي الألف الرابع قبل الميلاد .

١٦ - , J.,Oates, 1977, op. Cit.

١٧ - Prichard, J., 1969. Cit, P. 119.

١٨ - Leemons, W. F., Foreign Trade in old Babylonian Period, Leiden, Brill, 1460, PP. 159 ff.

١٩ —رضا جواد الهاشمي ، النشاط التجاري القديم ، مصدر سابق .

Oppenheim, L. "Seafaring Merchant of UR. Joas, 74, 1954, P. 13.

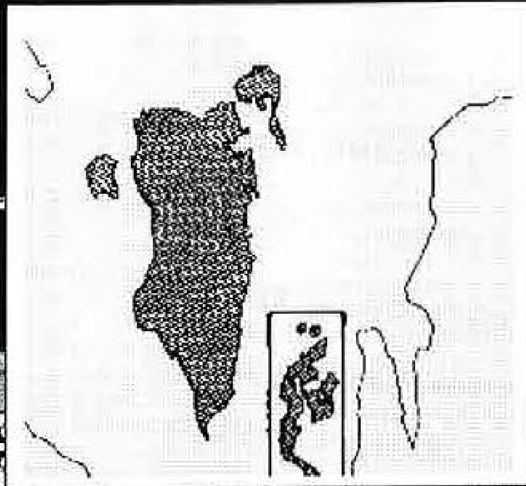
٢٠ - Tosi, M., Notes on the Distribution and Exploitation of Natural Resources in Ancient Oman "Journal of Oman Studies" (Jos). Vol. I, PP. 187 ff.

٢١ - خارابا وموهنجودارو : وهما من أشهر مراكز المدنية القديمة في وادي السند .

٢٢ - Hourani, G., Arab Seafaring in the Indian Ocean, Beirut, 1963, P. 14.

٢٣ - Strabo, op. Cit, XVI, 4-19.

البحرين





في مؤلفات جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين
التاسع والعاشر الميلاديين

بقلم : الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري

المحور الجغرافي

تشكل البحرين أهمية تاريخية متميزة في أحداث وتاريخ شبه الجزيرة العربية والخليج العربي بصورة خاصة وتاريخنا العربي الإسلامي بصورة عامة، وذلك من خلال عدة عوامل ومميزات :

أولاً : تمتع البحرين بموقع جغرافي استراتيجي مهم ومتميز على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية المطل على الخليج العربي، ويرتبط هذا الموقع في أهميته مع أهمية الخليج العربي من خلال موقع الخليج المتميز في العالم، مما جعله - منذ القدم - معبراً مائيا لنقل التجارة البحرية بين الشرق والغرب .

ثانياً : امتلاك البحرين قدرة بشرية فاعلة من خلال الوجود العربي المتمثل باستقرار قبائل عربية ضاربة في ربوعها قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، أبرزها : عرب عبد القيس وبكر بن وائل وتميم والأزد، وعلى الرغم من عدم استقلال هذه القبائل بحكم البحرين إلا أنها أسهمت بشكل جدي وفعال في إرساء بناء قواعد الحضارة العربية في هذا الجزء الحيوي من منطقة الخليج العربي منذ القدم، فقد عرفت البحرين ركوب البحر منذ عصور قديمة سبقت ظهور الإسلام، وكانت لها سفنها ورحلاتها البحرية، وتجارتها بنوعيها : الداخلية مع موانئ الخليج العربي وسواحل سبه الجزيرة العربية، والخارجية مع موانئ سواحل شرق أفريقيا والهند والشرق الأقصى، كما كان أهل البحرين خبراء ممتازون في صناعة السفن، ذاع صيتهم وبرزت مكانتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم أمام العواصف والأنواء، وكانت أشرعة السفن المصنعة فيها لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهما .

ثالثاً : أصبح تاريخ البحرين جزءاً من تاريخ الأمة العربية، بعد ظهور الإسلام وقيام الدولة العربية، فقد برزت بل ازدادت أهميتها بعد دخول الإسلام ربوعها وانتشاره فيها، فأسهمت في توحيد الأمة بالقضاء على حركة الردة التي ظهرت فيها، ومن ثم كان لها دور متميز في الشروع بتحرير العراق من السيطرة الفارسية، ومن ثم المشاركة في فتح بلاد فارس ونشر الإسلام فيها، بعد تحقيق إنجاز عربي إسلامي عظيم يتمثل في إسقاط الإمبراطورية الفارسية في فترة قياسية ومبكرة زمنياً، ولما تزل أقاليم عربية أخرى خاضعة للسيطرة الأجنبية .

وهكذا برزت شخصية البحرين بعد تحريرها من السيطرة الفارسية، لتسهم إسهاماً فاعلاً في تحقيق وحدة الأمة والدفاع عنها، فشاركت في الأحداث التي وقعت على أرضها أو بالقرب منها، وانعكس تأثيرها إيجاباً وسلباً على تاريخها منذ العصر الراشدي واستمراراً خلال العصرين الأموي والعباسي ، ووقعت على أرضها أحداثاً جسام كان لها تأثيرها السلبي على مسيرة تاريخها وتدوينه، بسبب ظهور حركات سياسية نازعت الأمويين والعباسيين سلطانهم في البحرين، متمثلة في حركات الخوارج والزنج والقرامطة، وكان أبرز تأثير هذه

الحركات قلة وربما ندرة المادة التاريخية عن البحرين في المصادر التاريخية خصوصاً، واقتصارها على المعلومات ذات الصبغة السياسية والعسكرية .

إن مما يضيف إلى معلوماتنا عن تاريخ البحرين خلال المدة موضوع البحث، ما نجده في كتابات الجغرافيين العرب والمسلمين، وهي معلومات متنوعة غطت فضلاً عن الجوانب العسكرية والسياسية، الجوانب الجغرافية والطبيعية وما يرتبط بذلك من معلومات وأفكار حول الموقع الجغرافي والتسمية وتحديد المسافات بين البحرين والأقاليم المجاورة وتحديد الطرق المتعددة والمرتبطة بها ومنازل كل طريق ومزاياه، كما احتوت معلومات تتعلق بتحديد أسماء المدن والقرى والجبال وغيرها من المتغيرات التي كانت في اتساع وضيق تبعاً للتطورات الداخلية للبلاد، كما تضمنت هذه المصادر معلومات اقتصادية تتعلق بالمناطق الزراعية والتجارية ونشاطها الاقتصادي في أنواع المنتوجات وتبادلها والأسعار والنقود والضرائب والمكوس ومقدار الجبايات، وتضمنت أيضاً معلومات تتعلق بالأحوال الاجتماعية من حيث استقرار القبائل العربية وفروعها وبطونها وتوزيعها الجغرافي ونشاطها المتنوع في المناطق التي استقرت فيها، أما المعلومات الخاصة بالحركات السياسية خصوصاً المعادية منها للدولة العربية الإسلامية، فكانت الإشارات عنها عابرة ومقتضبة جداً، عدا بعض التفاصيل التي انفرد بها بعض الجغرافيين - كما سنوضح .

اعتمدنا لإنجاز هذا البحث على قمة وخبرة الجغرافيين العرب والمسلمين الذين اتسمت معلوماتهم بالأصالة بشكل عام، وتميزت بأهميتها نظراً لانفرادها بمعلومات غير معروفة في المصادر الأخرى من جهة، ولأن العديد منهم كان يشغل وظائف مهمة في إدارة الدولة العربية الإسلامية وقتذاك، فكان شاهد عيان معاصر لكثير من الأحداث التي دونها من جهة أخرى، ومما لا ريب فيه أن الفكر الجغرافي العربي الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، بلغ أوج مجده وقمة نضجه وتطوره، يتضح ذلك من خلال شخصية الجغرافيين من الكتاب والبلدانيين، أبرزهم : الحربي

والخوارزمي والبلخي وسهراب وابن الفقيه وابن خرداذبة وابن رستة وقدامة ولسان اليمن الهمداني والمسعودي والأصطخري وابن حوقل والمقدسي . . فكانت معلوماتهم بمثابة وثائق مهمة تؤرخ للبحرين في مختلف المجالات، واعتمدنا كثيراً من النصوص الموثقة لدعم البحث علمياً على الرغم من تباين الآراء ووجهات النظر والاختلافات والمتغيرات بينهم، من حيث الإسهاب والاختصار، وتوسع وتقلص رقعة البحرين، وتغير المسميات واختلاف القياسات بين الفرسخ والمرحلة والميل وإطلاق أسماء المدن والقصبات والقرى وتغيرها في المصادر باستمرار .

إن مواصفات هذه المعلومات هيأت لي مناخاً مناسباً وخصباً، للخوض في دراسة هذه الاختلافات والاجتهاد في تفسيرها بمنطق علمي جهد المستطاع، كما أن مثل هذه المعلومات تفسح المجال في الرأي والتحليل والتفسير لجمهور المتخصصين والمهتمين من المؤرخين والمثقفين للوقوف على تاريخ البحرين ومتابعته والإدلاء بدلوهم مستقبلاً في بحوث ومتابعات علمية جادة هدفها إزالة الغموض والغبار عن تاريخ هذا الجزء الحيوي المهم في وطننا العربي العزيز وخليجنا العربي الشامخ، لتكون بداية أولية لدراسات علمية جادة وفق هذا المنهج في القرون التالية من خلال المؤلفات الجغرافية التي تغيرت وتطورت معلوماتها تبعاً للمتغيرات والمستجدات العديدة .إن الكتابة عن تاريخ البحرين وتوثيقه من خلال المصادر الجغرافية، هي دراسة محددة ومقيدة بأصول وقواعد علمية ومنهجية ترتبط بالمعلومات المتوفرة فقط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين حصراً، ولاشك أنها مهمة جداً من خلال المعلومات التاريخية المتنوعة التي ضمتها تلك المصادر في ثناياها، وعلى الرغم من تدقيقي المثابر في المصادر وانشغالي الشديد بهذا البحث منذ ما يقرب من عامين، فأنا لا أخفي مقدار العجز وضيق ذات اليد في عدم وضع أسس وقواعد ثابتة تتعلق ببعض أجزاء البحث، التي مازالت بحاجة إلى المزيد من المعلومات والإيضاحات، منها تفسير التوسع الهائل في المساحة والرقعة الجغرافية لمفهوم البحرين الذي شمل الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة

العربية، وبهذا الاتساع كانت تضم ما يشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة، كما أن إطلاق اسم هجر على البحرين قاطبة أو اسم الأحساء يحتاج إلى تفسير علمي ومنطقي مقنع، وهكذا كما سيتضح من خلال البحث أن أموراً أخرى تبقى في حاجة إلى المزيد من الوضوح والإقناع .

ولعل أهمية البحث تكمن في العديد من المواقف والتساؤلات التي سيثيرها لدى المختصين من الباحثين وكذلك من المثقفين المهتمين بدراسة تاريخ البحرين (درة الخليج العربي) وهواة البحث، لوضع واقتراح الحلول المناسبة لها إسهاماً منهم في تعزيز وتأصيل وترصين البحث العلمي، وهكذا فإن الاعتماد على المصادر الجغرافية لدراسة التاريخ تعد في حد ذاتها جرأة وشجاعة لما يتخللها من صعوبات وعقبات تحتاج إلى المزيد من الصبر والتأني للوصول إلى الحقيقة التاريخية. والتي أوضح البحث ملامح منها، أبرزها أن البحرين كانت دولة عظمى كبرى لها شخصيتها المتميزة، ووزنها وثقلها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي فأصبحت لها مكانة متميزة في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي من خلال اقتصادها الواسع الذي سيركز عليه البحث خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو تاريخ حافل بالمجد والعز في جزء مهم من أجزاء وطننا العربي الكبير .

أولاً : المحور الجغرافي

+++++++++++++++++++++++

تزداد أهمية المعلومات التي أوردها الجغرافيون العرب المسلمون عن البحرين، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن بعضهم كان يشغل وظائف مهمة في الدولة العربية الإسلامية، مما يسر له - كما نوهنا - الاطلاع على أمور مهمة ودقيقة، منها تلك المادة المتعلقة بطرق البريد والخراج والتجارات وطرقها ووسائلها، لذا فإن المادة التي قدمها هؤلاء الجغرافيون هي أشبه ما تكون بمادة وثائقية حصلوا عليها بحكم وظائفهم التي شغلوها .

تولى ابن خرداذبة وظيفة صاحب البريد في إقليم الجبال من بلاد فارس، وشغل ابن رستة منصباً حكومياً لا نعرف طبيعته بالضبط، أما قدامة بن جعفر

فكان يتولى الخراج . وكان كل من الأصطخري وابن حوقل والمقدسي من أصحاب الرحلات والأسفار، فابن حوقل مثلاً شاهد جميع الأصقاع التي كتب عنها وعاينها، ماعدا الصحراء الغربية الكبرى وهو يعترف بعدم مشاهدته لها، أما المقدسي فقد سافر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي المعروفة وقتذاك عدا الأندلس والسند وسجستان، لهذا فإن ما ذكروه بهذا الخصوص كان وصف شاهد عيان، مما يجعل لمادتهم أهمية خاصة تختلف عن تلك التي تعتمد السماع والرواية الشفوية فقط(١) .

وثمة أمور جديرة بأن يضعها الباحث نصب عينيه، وهو يعتمد على المصادر الجغرافية في دراسة تاريخ البحرين. منها أن المنطقة كانت فيها أجزاء فقيرة ومن ثم لم يعن بها الرحالة أو الجغرافيون بالنسبة إلى القرنين اللذين نحن بصدد بحثهما، كما أن الإشارات إلى الأماكن لم تكن - دائماً - دقيقة ومضبوطة، فضلاً عن أن المناطق بالذات اختلفت تسميتها اليوم عما كانت عليه سابقاً، ففي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وحتى في أزمنة لاحقة لذلك، كانت البحرين تعني المنطقة الساحلية المقابلة لدولة البحرين اليوم، أي المنطقة المعروفة بـ : الأحساء اليوم، وحتى في ذلك الوقت نجد أكثر من تحديد واحد للمنطقة الواحدة أو أكثر من تسمية واحدة لها - كما سنوضح، من خلال تباين المصادر الجغرافية وتناقضها في هذا الخصوص(٢) .

في المحور الجغرافي سندرس البحرين وفق المعلومات المتعلقة بالأمور الجغرافية والطبيعية التي أوردها جغرافيو القرنين الثالث والرابع الهجريين، ونقسمها إلى عناوين ومواضيع جانبية، كما يلي :

١ - تحديد موقع البحرين

++++++++++++++++++++++++++

اختلف الجغرافيون في تحديد موقع البحرين أي رسم حدودها وأبعادها وامتدادها، تبعاً للأسلوب الذي اعتمدوه في وصفهم لشبه الجزيرة العربية وموقع البحرين منها، أو تبعاً لتحديدهم أقاليم بلاد العرب وفي مقدمتها بلاد العرب أو ما سموها : ديار العرب، أو من خلال وصفهم للخليج العربي أو المحيط الهندي أو تحديد موقع البحرين بالنسبة

للبحار والمحيطات، كما شمل تحديد أقاليم المعمورة السبعة وموقع البحرين منها .

يعد الحُربي[٣] من أوائل الجغرافيين الذين اهتموا بتوضيح سبب تسمية بلاد العرب : جزيرة، نقلاً عن محمد بن السائب الكلبي، إذ يقول : "**سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها في أقطارها، فصارت منها في مثل الجزيرة، وذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم، فظهر ناحية قنسرين . . ونفذ إلى [القطيف] وهجر وأسياف قطر وعمان والشحر . . فصارت بلاد العرب في هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام، عند العرب في أشعارها : تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن**"[٤].

يتضح لنا من نص الحربي أن تسمية بلاد العرب : جزيرة العرب، سببه هو إحاطة البحار والأنهار بجميع أقطارها، ولم يرد ذكر البحرين صراحة في النص، ولعل القطيف وهجر هما المقصود بهما بلاد البحرين. كما لم يرد ذكرها في نهاية النص ضمن أقسام جزيرة العرب، بل ورد ذكر العروض وهو قسم من أقسامها كان يضم كلاً من اليمامة والبحرين ويمتد حتى عمان التي تشكل الجزء الثالث منه، يقول الحربي : "وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما من العروض"[٥]. وسنوضح هذا الأمر لاحقاً .

زودنا الحربي بمعلومات طريفة لتوضح أقسام جزيرة العرب، فذكر أن فيها نجد أي أرض مرتفعة وغور أي وادي منخفض، ويعلل ذلك لقربها من البحار، وانخفاض مواضع منها، وهناك مسايل (جمع سيل) أودية فيها (ص ٥٣٤)، ووصف تهامة بأنها أرض منخفضة، إذ يقول : "وتهامة غور اليمن كلها، والسراة أعلى منها [وهي ما] ارتفع عن الغور وتهامة، من أرض اليمن"، ويسوق الحربي دليلاً على ذلك قول النبي ﷺ : الإيمان يمان، والحكمة يمانية"[٦].

ويوضح الحربي المقصود بالحجاز ونجد، ضمن أقسام جزيرة العرب، إذ يقول[٧] : "وقال ابن الكلبي : الحجاز ماحجز فيما بين اليمامة والعرض[٨]، وفيما بين اليمن ونجد، ونجد فيما بين

الحجاز إلى الشام إلى العُذَيْب، والطائف من نجد، والمدينة من نجد، وأرض العالية والبحرين إلى عمان من العرض. قال الشاعر :

ألم تر أن العرض أصبح بطنه
نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصاً

قال ابن الكلبي : "وتهامة ماساير البحر منها مكة"[9].

يتضح لنا من خلال ما ذكره الحربي أنه أخطأ في تسمية العروض، فسماها العرض، وقد سبق له أن أوضح معنى العروض (ص ٥٣٤) . وكذلك ورد ذكر العرض في بيت الشاعر الأعشى، ونستدل أن الحربي لم يفرق بينه وبين العروض، فالعرض يقصد به وادي اليمامة المعروف الآن باسم : وادي الباطن أو وادي حنيفة، وكان وادي العرض هذا غنياً بالنخيل والزروع، ومنها الفصافص وهو (القت)، ووصفه في بيت الشعر يدلل أنه كان سواداً زراعياً كثيفاً بالنخيل والزرع .

وذكر الهمداني صفة معمور الأرض، باب ما جاء عن عبد الله بن عباس رحمه الله تعالى في ذكر جزيرة العرب، ما نقل لنا عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[10]. ويعد ماروواه الهمداني منسوباً إلى ابن عباس من أوفى وأدق النصوص التي وصلتنا في تحديد جزيرة العرب، إذ تجاوز فيه التعريف الإداري الضيق إلى التعريف الإقليمي العام، متخذاً من المدلول اللفظي لكلمة "جزيرة" أساساً لرسم حدودها[11]، يقول الهمداني[12]: "وإنما سميت بلاد العرب "الجزيرة" لإحاطة البحار والأنهار بها في أقطارها وأطرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة في جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنسرين، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر ناحية البصرة والأبلة وامتد [إلى عبدان . وأخذ] البحر من ذلك الموضع مغرِّباً مطيِّفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها، فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف [البحرين و] قطر وعمان والشحر، ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين ودهلك . . ." .

يتضح لنا أن نص الهمداني هذا أوضح بكثير من نص الحربي السابق،

وفيه إضافة توضح موقع البحرين من جزيرة العرب .

والواقع أن المقصود في هذا النص ليس تحديد بلاد العرب بل تعليل تسمية الجزيرة العربية ، كما يتضح في بداية النص ، فكان ذلك الربط بين المفهوم اللغوي والمفهوم الجغرافي ، وقد اعتمدت المصادر العربية الأخرى غير الفقهية على هذا التحديد ، فمنهم من نقله بنصه ، ومنهم من أدخل بعض التعديلات على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، وقد أسهم عدد من الجغرافيين في هذه التعديلات ، ويهمنا من هذا النص تحديد موقع البحرين وامتداده على ساحل الخليج العربي الذي يبدأ من كاظمة شمالاً ويتجه نحو عمان والشحر جنوباً .

من خلال نص الحربي والهمداني حول تحديد أقسام جزيرة العرب وسبب تسميتها جزيرة ، يتضح لنا موقع البحرين بالنسبة لها ، وهو الموقع المتميز على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية المطل على الخليج العربي ، ووقوعها على السواحل الغربية للخليج العربي ، وهو موقع جغرافي استراتيجي ذو أهمية كبيرة متميزة .

أما الأسلوب الثاني في تحديد بعض الجغرافيين لموقع البحرين ، فيتلخص في جعل البحرين من ديار العرب . يقول الاصطخري(١٣) : "وابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى ، وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم ، والذي يحيط بها بحر فارس [والصحيح : الخليج العربي] من عبادان ، وهو مصب ماء دجلة في البحر ، فيمتد إلى البحرين حتى ينتهي إلى عمان ، ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن ، حتى ينتهي على سواحل اليمن إلى جدة . . . وديار العرب هي الحجاز ، الذي يشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها(١٤) ونجد الحجاز ، المتصل بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام(١٥) . . . وما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة ، راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد" .

يتضح لنا من نص الاصطخري أنه ابتدأ بديار العرب لوجود بيت الله

الحرام في مكة المكرمة، والذي أعطاهم صفة مميزة بين الأمم، وأوضح امتداد تلك الديار على سواحل الخليج العربي الذي سماه : بحر فارس كما سماه غيره من الجغرافيين، وهي تسمية خاطئة كما سنوضح لاحقاً، ويشير النص إلى نجد الحجاز، وهو المنطقة المرتفعة من صحراء شبه الجزيرة العربية، وهذا النجد متصل بأرض البحرين أي المنطقة المقابلة لدولة البحرين اليوم، تلك المنطقة من شبه جزيرة العرب التي كانت تشكل جزءاً من البحرين قديماً، وبذلك اعتبر الأصطخري ومن بعده ابن حوقل الذي نقل عنه نصاً وفي كثير من الحالات، اعتبر البحرين امتداداً طبيعياً لنواحي نجد وبادية العراقوإقليم الجزيرة الفراتية وبادية الشام[١٦]، ويشير الأصطخري بل ينفرد بإشارته إلى أن اليمامة جزء من الحجاز، ثم يوضح أن ما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد إلى البحرين على ساحل الخليج العربي فهو من نجد، وبذلك يؤكد أن اليمامة هي الحد الفاصل بين البحرين وهي من نجد وبين بقية شبه جزيرة العرب، وسنوضح أن عمق البحرين الداخلي أو جوفها يمتد إلى الدهناء التي عُدّت الفاصل الطبيعي الواضح المعالم بين البحرين واليمامة التي تشكل الحدود الغربية للبحرين قديماً، وقد تمتعت اليمامة باستقلال خاص بها في شئونها المختلفة عن البحرين كما سنوضح .

وبخصوص موقع البحرين بالنسبة إلى شبه جزيرة العرب، أكد بعض الجغرافيين[١٧] أن البحرين في ناحية نجد، لكنها ليست في الحجاز، الذي يشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كما ذكرنا أي كورها ورساتيقها الزراعية . وهكذا نجد اختلاف الجغرافيين واضحاً حول تحديد موقع البحرين وجعلها ضمن العروض تارة وضمن أرض نجد تارة أخرى، فضلاً عن الاختلاف في تحديد الحجاز وما يضم من مدن، فهنالك من جعل الطائف والمدينة المنورة من نجد[١٨].

وأوضح ابن رستة[١٩] حدود البحرين، فذكر أن حدودها الغربية تتصل ببلاد اليمامة، وشرق بلاد اليمامة

تتصل بحدود البحرين، إذ يقول : "وحدود البحرين متصلة مما يلي المغرب ببلاد اليمامة وبلاد اليمامة شرقها متصلة بحدود البحرين ذات اليمين وغربها يفضي إلى مكة وشمالها بوادٍ [جمع بادية] متصلة . . . "، وهكذا تتضح لنا حدود البحرين المتصلة في جهة الغرب باليمامة. وعلى الرغم من اتصال حدود اليمامة الغربية بأرض مكة والمدينة، فإنها تعد من بلاد نجد، كما هو الحال بالنسبة لبادية البصرة الممتدة حتى سواحل البحر والبحرين، ونجد الحجاز متصل بأرض البحرين كما ذكرنا .

وعقد الهمداني في بداية كتابه عنواناً "معرفة أفضل البلاد المعمورة" وذكر أن أفضل تلك البلاد هي جزيرة العرب التي سماها : الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي سماها بطلميوس : "ماروي"، وحدد موقع البحرين منها، إذ يقول[٢٠] : "وشرقيها : عمان والبحرين وكاظمة والبصرة . . . " . وهذا التحديد واضح جداً، إذ أن البحرين تقع شرق الجزيرة العربية .

وقبل مواصلة دراستنا عن موقع البحرين بالنسبة إلى الخليج العربي، يجدر بنا التوقف عند مسألة مهمة جداً، تثير الاستغراب والتعجب، تتعلق بإطلاق بعض الجغرافيين العرب والمسلمين تسمية : بحر فارس على الخليج العربي، وتسمية ساحله ساحل فارس[٢١]، في حين أن المعروف عن الخليج العربي منذ القدم أنه عربي بساحليه الغربي والشرقي، فقد استقر العرب على ساحليه، وبنوا المدن والقلاع والحصون واستقروا في ساحله الشرقي قبل الإسلام، منذ القرن الرابع الميلادي، فضلاً عن استقرارهم في الجزر المنتشرة والقريبة من ساحله الغربي مثل جزيرة قيس وابن كاوان (لافت)، مما يؤكد عروبة الخليج العربي بساحليه الغربي والشرقي منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا[٢٢] .

أوضح ابن خرداذبة أن الساحل الغربي للخليج العربي هو الساحل العربي، وسماه شط العرب، أي بحر العرب، مما يؤكد عروبة هذا الساحل الذي استقر فيه العرب منذ عصور قديمة سبقت الإسلام، إذ يقول[٢٣] : "من البصرة إلى عبادان . . . ثم تصير إلى البحر [إلى الخليج العربي] فشطه

الأيمن للعرب وشطه الأيسر لفارس . . . ومن الخشبات إلى مدينة البحرين على شط العرب . . ." ؛ وهذا النص يؤكد بوضوح تام أن الشاطئ الأيمن من الخليج العربي أي الساحل الغربي هو شط عربي، ولعله قصد بمدينة البحرين جزيرة أوال وما يقابلها في البر، من باب إطلاق إسم الجزء على الكل، إذ عرفت تلك الجزيرة منذ القدم في مصادرنا العربية باسم : البحرين وهي ليست تسمية خاصة أطلقت عليها، وإنما أطلقت على بلاد البحرين عموماً .

ونعود إلى التساؤل السابق حول إطلاق هؤلاء الجغرافيين تسمية بحر فارس وساحل فارس على الخليج العربي وساحله في وقت متأخر امتد إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ماهي دوافعه ومبرراته ؟

المعروف عن الخليج العربي أن ما حوله من ممالك وأمم لا تمت بصلة إلى الفرس أو بلاد فارس، مثل إقليم السند والهند ومكران وعمان والبحرين والسواحل الجنوبية لبلاد العرب وجزيرتهم[٢٤]، لذا لا نجد أي مسوغ علمي ومنطقي يبرر إطلاق هذه التسمية الخاطئة والمتطرفة، وهي مسألة مهمة جداً تستدعي التأمل والتفكير الجاد لأنها تتعلق بمصير أمة لها تاريخها وتراثها ووجودها عبر العصور التاريخية، وهي الأمة العربية .

برر الأصطخري وابن حوقل[٢٥] هذه التسمية وعللها كل منهما، بسبب عدم وجود قوة أكبر من نفوذ ملوك فارس من بين الممالك التي تحيط بهذا البحر أي الخليج العربي، وأن سلطانهم هو الغالب على سائر أنحاء هذا البحر، إذ يقول الأصطخري : ". . . وينسب هذا البحر من بين سائر الممالك التي عليه إلى فارس، لأنه ليس عليه مملكة أعمر منها، ولأن ملوك الفرس كانوا على قديم الزمان أقوى سلطاناً، وهم المسئولون إلى يومنا هذا على ما بعُد وقرُب من شطوط هذا البحر"، وجاء هذا النص متشابهاً مع ما ذكره ابن حوقل، إذ يقول : " وهو بحر يجري على حدود بلدان السند وكرمان إلى فارس، فينسب من بين سائر الممالك التي عليه إلى فارس، لأنه ليس عليه ممالك أعمر منها ولأن ملوك فارس كانوا على قديم الأيام أقوى سلطاناً، وهم

المسئولون إلى يومنا هذا على ما بعُد وقرُب من شطوط هذا البحر" .

إن من يتأمل هذا النص الذي أورده الأصطخري وردده ابن حوقل بعده، يدرك مدى التهور والتطرف في منح الفرس حقوق السيادة والهيمنة على الخليج العربي، بدعوى واهية هي هيمنتهم القديمة على هذا الشريان الحيوي قديماً، والغريب أنها بقيت قائمة حتى بعد زوال إمبراطوريتهم وتلاشيها، واستمرار سيادتهم حتى عصر الأصطخري وابن حوقل في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

لقد غاب عن فكر الأصطخري ومن بعده ابن حوقل أن إمبراطورية الفرس سقطت وقبرت إلى غير رجعة على يد رجال العروبة والإسلام ، يوم امتشقوا سيوفهم اليعربية حاملين راية الإسلام راية الله أكبر عالية خفاقة، فأسقطت تلك الإمبراطورية الخاوية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، فأين كان الأصطخري وابن حوقل من كل ذلك حتى يطلقا العنان لقلميهما ليصدرا هذه العبارات غير المسئولة التي تعد اعتداءً صارخاً على مشاعر العرب والمسلمين، للتمسك بحقوق الفرس وسيادتهم على الخليج العربي ومقدراته .

يعترف الأصطخري وابن حوقل بأن نسبة خليج فارس نسبة غير ثابتة، بل هي تسمية أطلقها كل منهما دون الاستناد إلى أدلة تاريخية كافية . يقول الأصطخري[٢٦] : "وفي هذا البطن من البحر الذي نسبناه خصوصاً إلى فارس جزائر، منها لافت وخارك وأوال وغيرها من الجزر المسكونة . . ." . ويقول ابن حوقل[٢٧] : "ومن هذا البطن الذي نسبته خصوصاً إلى فارس جزائر منها لافت وأوال وخارك وغيرها من الجزائر المسكونة . . ." .

ولم يقتصر الأمر على الخليج العربي في تجاوز تسميته ونسبته لأمم أخرى، فقد أطلق المسعودي[٢٨] تسمية : البحر الحبشي على المحيط الهندي، على الرغم من أن هذا المحيط يمر بأمم وأقاليم شتى، ولا يقتصر على أرض الحبشة، بل إنه بحر طويل جداً يمتد من المغرب إلى المشرق من أقصى الحبشة إلى أقصى الهند والصين، وأوضح المسعودي بتفصيل تشعُّب مياهه وخلجانه، كما

وصفه[٢٩] بأنه : بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعمان والبحرين واليمن والقلزم من بلاد مصر والحبشة .

يعد هذه الوقفة من الجغرافيين وتلاعبهم بتسميات الخليج العربي والمحيط الهندي، نعود لدراسة الجغرافيين الذين حددوا مواقع البحرين على الخليج العربي، على الرغم من أنهم أطلقوا عليه تسمية : بحر فارس .

حدد ابن رستة موقع البحرين بوضوح، لكنه أطلق على البحرين اسم : (مدينة)، إذ يقول[٣٠]: "وشرقي بحر فارس [الخليج العربي] من المدن بلاد فارس ومكران وكرمان وإلى غربيه بلاد العرب وهي البحرين وعمان ومسقط وسقوطرة" . وفي هذا النص تحديد لموقع بلاد العرب على الساحل الغربي للخليج العربي ومنها البحرين .

ووصف المسعودي[٣١] الخليج العربي وموقع البحرين عليه، إذ يقول : "فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبلة والبحرين من خشبات البصرة . . . والموضع المعروف بالكفلاء وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات للمراكب إلى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ[٣٢]، وعلى ذلك ساحل فارس [الخليج العربي] وبلاد البحرين" .

ويقول أيضاً[٣٣] : "ويقابل ما ذكرنا من مبدأ ساحل فارس ومكران والسند بلاد البحرين وجزائر قطر وشط بني جزيمة وبلاد عمان وأرض مهرة . . . ، وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك . . وجزيرة أوال" . وفي هذا النص تحديد لموقع بلاد العرب ومنها أرض البحرين على الساحل الغربي للخليج العربي، وتتبعها الجزر الواقعة قرب ذلك الساحل وأشهرها جزيرتا خارك وأوال، والتسمية الأخيرة هي ما كانت تعرف به بلاد البحرين قديماً .

والخليج العربي هو أحد الخلجان المتفرعة من المحيط الهندي، وقد أشار المسعودي[٣٤] إلى هذه الحقيقة حين أوضح تشعب مياه ذلك المحيط وخلجانه، وهما الخليج العربي والبحر الأحمر، وذكر الدكتور السعدي[٣٥] أن المحيط الهندي هو ذلك الجزء من العالم الخاص بالمحيطات الواقع إلى الجنوب

من آسيا، بين قارتي أفريقيا وأستراليا، وله بحران داخليان هما : البحر الأحمر والخليج العربي، كما أن له بحاراً أخرى مفتوحة، وأوسع خلجانه هما : خليج عمان وعدن .

ومن الأساليب المتعلقة بتحديد موقع البحرين، هي تصنيف البحرين ضمن المدن الواقعة في أقاليم المعمورة، وهي الأقاليم السبعة المسكونة، التي حددها الجغرافيون ضمن تصنيفهم للعالم المعروف أو المسكون(٣٦). وهذه الأقاليم موازية لخط الاستواء، ولم تتفق المصادر الجغرافية على تحديد موقع البحرين التي أطلقت عليها تسمية : مدينة ضمن تلك الأقاليم. فالخوارزمي وسهراب متفقان على أن البحرين تقع ضمن الإقليم الثالث، ذكر الخوارزمي مدينة (أولا)، ولعل ذلك تصحيف أو خطأ من النساخ. ومن المرجح أنها مدينة (أوال)، التي كانت اسم البحرين القديم ومركزها أي العاصمة. ثم يقول : "البحرين على البحر"(٣٧) . في حين انفرد سهراب(٣٨) بتخصيص الأحساء وعدّها مدينة البحرين، إذ يقول : "مدينة البحرين وهي الأحساء"، ولعل ذلك يرجع إلى عوامل سياسية أبرزها استقرار وتمركز القرامطة في الأحساء واتخاذهم مدينة هجر مؤكزاً لهم فيها كما سنوضح في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

وذكر ابن رستة(٣٩) الأقاليم السبعة وأسماء مدنها المشهورة، فجعل البحرين من مدن الإقليم الثاني، وهذا الإقليم يبتديء من المشرق فيمر على بلاد الصين ثم بلاد الهند ثم بلاد السند، ثم يمر بملتقى البحر الأخضر (أي الخليج العربي) وبحر البصرة، ويقطع الجزيرة العربية في أرض نجد وأرض تهامة، ومن مدنه هناك : اليمامة والبحرين وهجر ومدينة يثرب ! (والصحيح المدينة المنورة)، والجار ومكة والطائف وجدة(٤٠) .

ومن الملفت للنظر أن ابن رستة عدَّ كلاً من اليمامة والبحرين مدينة، وهي أقاليم تضم عدة مدن وقرى، وهذا أمر يثير الجدل كثيراً وسوف نعود لمناقشته في ثنايا البحث، كما كان أمراً غريباً جداً أن يطلق ابن رستة اسم مدينة يثرب، وهو اسم جاهلي ألغي تماماً بعد هجرة الرسول الكريم (ص) وأصحابه

البررة إليها، فسميت منذ بدء الهجرة بـ : مدينة الرسول (ص) والمدينة المنورة، أي منذ عام الهجرة (١هـ/٦٢٢م)، فكيف يسميها ابن رستة في القرن الثالث الهجري بهذه التسمية القديمة ؟ وحتى في القرن الأول نفسه بعد الهجرة النبوية الشريفة ؟ لعل ذلك كان خطأً أو تصحيفاً وقع فيه نساخ الكتاب ممن يجهلون التسميات ولا يدركون المتغيرات !

وفي حديثه عن معرفة أطوال وعروض مدن العرب المشهورة، ذكر الهمداني[٤١] أن طول البحرين مائة وثلاث عشرة درجة، أما عرضها فكان بياضاً مجهولاً .

والأسلوب الأخير الذي اتبعه الجغرافيون والكتاب هو وصف الساحل الشرقي للجزيرة العربية بطريقة عامة، يوضحون من خلاله موقع البحرين وامتدادها وأهم المناطق التابعة لها، وهي المناطق الممتدة على طول ساحل الجزيرة العربية الشرقي المطل على الخليج العربي، المتمثلة بعدد من المدن والقرى الواقعة عليه من البصرة إلى عمان كما جاء عند ابن خرداذبة[٤٢] أو من عمان إلى البصرة[٤٣]، في حين يعدد ابن الفقيه[٤٤] أماكن أكثر مما عددها هذان المؤلفان .

ترجع أهمية هذه النصوص إلى أنها حددت المنازل في الطريق من البصرة إلى عمان وبالعكس، كما ذكر بعض الجغرافيين المسافات التي تربط بين البحرين والعديد من المحطات والمنازل الواقعة على الطريق البحري، فضلاً عن ذكر آخرين الطريق البري بين البحرين والبصرة وعمان وبين البحرين وعبادان، وبين البحرين والمدينة المنورة، وسيكون لهذا الموضوع مجال خاص في بحثنا هذا .

وهكذا تتضح لنا مكانة البحرين المتميزة من خلال موقعها الجغرافي المهم، كونها إقليماً حضارياً متميزاً له عمقه التاريخي والحضاري المعروف، لذلك عقد الخوارزمي فصلاً عن المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان، إذ يقول[٤٥] : "بلاد العربية العامرةوهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان"وفي هذا النص عد الخوارزمي البحرين وعمان من البلاد العامرة في الجزيرة العربية، إذ أن هذين القطرين لهما مشاركة في التجارة البحرية

منذ أقدم أزمنة التاريخ[٤٦]، وهكذا تتأكد لنا أهمية ومكانة االخليج العربي منذ أقدم العصور وكذلك أهمية البحرين التي شكلت درة الخليج العربي، لكن المصادر الجغرافية تباينت في تحديد الحدود الجغرافية للبحرين، لذلك اعتمدنا على عدة دراسات علمية حديثة لتوضيح هذه الحدود في جهاتها الأربع استناداً إلى ما ذكرته المصادر الجغرافية من خلال إشاراتها حول موقع البحرين من شبه جزيرة العرب، وموقعها على ساحل الخليج العربي وامتداد رقعتها الجغرافية من خلال إشاراتها حول موقع البحرين من شبه جزيرة العرب، وموقعها على ساحل الخليج العربي وامتداد رقعتها الجغرافية خلال المدة موضوع البحث .

ذكر الدكتور النجم[٤٧] أن العرب أطلقوا اسم البحرين على الإقليم الممتد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان، فهو يشمل في الوقت الحاضر : الكويت والأحساء، وقطر وجزر البحرين الحالية المعروفة قديماً باسم أوال . وهي متصلة غرباً باليمامة، وشمالاً بالبصرة وجنوباً بعمان .

ويحدد الدكتور المسري[٤٨] موقع البحرين، إذ يحدها من الشرق الخليج العربي وإقليم السند، ومن جهة الغرب بلاد اليمامة، ومن الشمال العذيب حتى البصرة، ومن الجنوب عمان .

ويشير الدكتور الحميدان[٤٩] إلى أن البحرين هي المنطقة المتدة من كاظمة شمالاً لتنتهي جنوباً بعمان الشمالي، ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة في الخليج العربي والمجاورة للساحل، وأكبرها حجماً وأوسعها شهرة جزيرة أوال (البحرين)، أما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية فتتصل باليمامة . وقد تعارف الجغرافيون العرب الأوائل على إطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة، وهي بهذا الاتساع والإمتداد تشمل في الوقت الحاضر، دول شرق الجزيرة العربية كافة ابتداءً بالكويت وانتهاءً بعمان الشمالي .

وذكر الدكتور الحديثي[٥٠] أن البحرين تقع على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربيةالمطل على الخليج العربي، يحدها من الشمال شبه جزيرة

قطر وعمان، ومن الجنوب البصرة، وشرقها الخليج العربي وغربها اليمامة .

والواقع أن الحدود الشمالية والجنوبية للبحرين كما ذكرت غير دقيقة، فالمعروف أن البصرة وكاظمة تشكلان الحدود الشمالية للبحرين، في حين أن عمان تشكل حدودها الجنوبية، في المصادر الجغرافية القديمة .

وأوضح الدكتور اليوزبكي[٥١] موقع البحرين وأثره على تاريخها، فذكر أن البحرين تحتل الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وهي تمتد ما بين البصرة وعمان، فالبصرة تحدها من جهة الشمال، وعمان من الجنوب واليمامة من الغرب، ومياه الخليج العربي من الشرق، وبهذا التحديد فإنها تضم الشقة الساحلية الممتدة على طول سيف (ساحل) الخليج العربي ما بين البصرة في الشمال الغربي إلى ما وراء واحة يبرين في الجنوب من عمان، وما يتبع هذا الشريط من جزر تقع أمامه، أما جوف البحرين، وعمقها الداخلي فيمتد حتى الدهناء التي يمكن عدها فاصلاً طبيعياً واضح المعالم بين البحرين واليمامة .

٢ - أسماء البحرين

+++++++++++++++++++++

في دراستنا المطولة عن تحديد موقع البحرين، وجدنا أن الجغرافيين القدامى من الكتاب والبلدانيين اختلفوا في توضيح حدود البحرين وموقعها في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، واستنتجنا أن المفهوم الجغرافي القديم لبلاد البحرين يختلف عنه في الوقت الحاضر، إذ اتفق الجغرافيون القدامى على إطلاق اسم البحرين على الرقعة الممتدة من أسياف (سواحل) كاظمة حتى عمان .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الجغرافيين العرب والمسلمين لم يحالفهم الحظ في تعريف البحرين وتحديدها بصورة قاطعة من غير تعليل ظاهر يمكن أن يكون سبباً منطقياً في التماس العذر لهم، وهذه الظاهرة ستتكرر دائماً في ثنايا البحث في العديد من المواضيع التي سندرسها، ويمكن إرجاع ظاهرة اضطراب الروايات واختلافها إلى حد التناقض أحياناً إلى ثلاثة أسباب :

١ - عدم استقرار الأحوال السياسية في البحرين، بسبب ظهور الحركات المذهبية العديدة التي انتشرت فيها

والتي كانت تنشب من وقت لآخر، وأبرزها حركات الخوارج والزنج والقرامطة .

٢ - إن هؤلاء الجغرافيين من الكتاب والرحالة البلدانيين اعتمدوا على الروايات المنقولة إليهم دون المشاهدة، معتمدين على الروايات الشفوية، فضلاً عن تخوفهم من الحكام المتغلبين على البحرين في إيراد المعلومات الموضوعية الكافية عن تلك الحركات .

٣ - استمد هؤلاء الجغرافيون والرحالة أخبارهم من أقوال ربابنة الخليج العربي، ومشاهدات الرحالة والتجار الذين يخوضون مياهه، ولا تتسم أخبارهم التي أوردوها عن الخليج العربي حول بعض الحقائق الجغرافية بالدقة الخالصة، فكثيراً ما تشوبها قصص خيالية وروايات خرافية، بدليل أن الأبحاث الجغرافية الحديثة أثبتت إغراق هؤلاء الجغرافيين في الوهم، غير أننا ينبغي ألا نجحد فضل هؤلاء الجغرافيين من خلال كتاباتهم ذات المعلومات المهمة والقيمة العلمية التي تميزت بها، فهي تعد وثائق مهمة في علوم البحار وجغرافية المنطقة[٥٢] .

وتأسيساً على ما ذكرناه أعلاه، يجدر بنا أن نشير إلى ملاحظة مهمة تسترعي الانتباه، هي عدم خوض الجغرافيين والكتاب والبلدانيين العرب والمسلمين خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، في تفسير معنى اسم البحرين ولا اشتقاقه سوى إشارة يتيمة وسريعة ذكرها الهمداني (صفة جزيرة العرب ص ٢٨١)، إذ يقول : "والبحرين إنما سميت البحرين من أجل نهرها مُحْلَم ولنهر عين الجريب"، ونفهم من هذا النص أن البحرين هما نهران، الأول مُحلَم والثاني عين الجريب، ولم يرد هذا التفسير الغامض عند الجغرافيين العرب والمسلمين خلال المدة موضوع البحث، في حين أن المصادر الجغرافية التي دونت في القرون التالية أولت تسمية البحرين واشتقاقها عناية خاصة لكننا لن نخوض فيها لعدم علاقتها بعنوان بحثنا المحدد . لذا ستقتصر دراستنا على إيراد الأسماء التي أطلقت على البحرين، ضمن البلدان التي تحمل أكثر من أسم واحد .

انفرد المقدسي[٥٣] بذكر المدن التي لها أكثر من اسم، مثل مكة التي سميت : بكة، والمدينة لها عدة أسماء، منها :

يثرب وطيبة وطابة وجابرة ومسكينة ومحبورة ودار الهجرة، وعمان : صُحار ومزون، والبحرين : هجر .

لقد ذكرنا وصف الجغرافيين لهجر وبيان موقعها ضمن أقاليم المعمورة، وهذا الاهتمام يعكس لنا أهميتها المتميزة في تاريخ البحرين خصوصاً وتاريخ شبه الجزيرة العربية عموماً، فقد ذكرنا أن ابن رستة جعلها من الإقليم الثاني، في حين جعلها الخوارزمي كذلك، إلا أن سهراب جعلها ضمن مدن الإقليم الثالث من أقاليم المعمورة، وقيل إن هجر هي مدينة البحرين بمعنى أن البحرين هو القطر وأن مدينة هجر هي العاصمة، وهكذا عرفت بلاد البحرين باسم عاصمتها هجر، ونرجح أن ذلك كان بعد سيطرة القرامطة عليها واتخاذها عاصمة لهم ومركزاً لإمارتهم في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

ومن الجدير بالذكر أن الهمداني[٥٤] ذكر أسواق العرب القديمة، ومنها : هجر البحرين، ولعلنا نتساءل ما علاقة هجر بالبحرين قبل عصر الهمداني ؟ أي قبل القرن الرابع الهجري ؟ فمن المعروف أن هجر لم تكن تابعة للبحرين، كما لم تكن اسماً اشتهرت به البحرين قديماً قبل ظهور الإسلام، لكننا نرجح أن الهمداني أطلق هذه التسمية تعبيراً عن شهرة هجر في القرن الرابع الهجري واقترانها باسم البحرين . ووصفت هجر بأنها : مدينة البحرين العظمى[٥٥] وهو سوق بني محارب من عبد القيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين[٥٦]، مما يوضح لنا سعة هجر وامتدادها إلى قرى كثيرة ضمن بلاد البحرين، كما عرفت هجر بأنها مدينة البحرين[٥٧]، ولعل المقصود بها أنها كانت عاصمة البحرين ومركزها، وبذلك أصبحت هجر ذات شهرة واسعة أدت إلى اهتمام الجغرافيين بها إلى حد كبير، فعبروا عن هذه الأهمية، لأنها المدينة الكبرى المعروفة التي غلب اسمها على اسم ومركز البحرين خصوصاً في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

ومما يدلل على أهمية هجر ومكانتها المتميزة أن المقدسي[٥٨] في حديثه عن إقليم جزيرة العرب يجعل هجر ضمن الكور الأربع، إذ يقول : "وقد جعلناه أربع كور جليلة فأربع نواحٍ نفيسة، والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم

عمان ثم هجر، والنواحي الأحقاف والأشحار، اليمامة، قُرَح . . .» .

ومن خلال نص المقدسي تتضح لنا أهمية هجر حين عدها الكورة الرابعة من كور جزيرة العرب، ولم يرد ذكر البحرين، إذ أن هجر كانت تعني البحرين الواسعة الرقعة الجغرافية والمتدة على البر المقابل للبحر والتي تنتهي غرباً عند الدهناء، وبذلك تفصل اليمامة غرباً بين البحرين وجزيرة العرب، ومفهوم الكورة هو القسم الرئيسي أو الكبير من الإقليم، إذ أن هجر كانت كورة متميزة تضاهي أو تساوي كور الجزيرة العربية الأخرى مثل الحجاز واليمن وعمان، فالجزيرة العربية إقليم كبير، من الأقاليم العربية الستة في مملكة الإسلام، والإقليم يتكون من كور، ولكل كورة قصبة أي عاصمة، ثم لكل قصبة عدد من المدن[٥٩].

يشير المقدسي أيضاً إلى هجر أي البحرين وأن قصبتها الأحساء، ومدنها : سابون، الزرقاء، أوال، العقير، وناحيتها اليمامة[٦٠] ، وبذلك تتضح لنا أهمية هجر إدارياً وسياسياً لأن عاصمتها انتقلت من جزيرة البحرين إلى البر عندما أصبحت الأحساء قصبتها، وأن جزيرة أوال أصبحت ناحية تابعة للإحساء قصبة هجر ضمن هذا التغيير الإداري الذي نقله لنا المقدسي .

وفي حديثه عن الأحساء يؤكد المقدسي[٦١] ثانية أن هجر تعني البحرين وعاصمتها الأحساء، إذ يقول : "الأحساء قصبة هجر وتسمى البحرين كبيرة كثيرة النخيل عامرة آهلة" . وهذا الوصف يوضح تماماً أن هجر هي البحرين الغنية بالنخيل والعامرة بأهلها، وأن الأحساء عاصمتها السياسية والإدارية، وقد أكد هذه الحقيقة الجغرافي الفلكي سهراب[٦٢] بقوله : "الأحساء هي مدينة البحرين"، وجعل الأحساء من مدن الإقليم الثالث من أقاليم المعمورة .

وذكر ابن خرداذبة[٦٣] منازل الطريق البحري من البصرة إلى عمان، ومن ضمنها ساحل هجر ثم إلى العقير ثم إلى قطر، وكذلك ذكرها قدامة[٦٤] عندما عدد المنازل بالعكس من عمان إلى البصرة، وهكذا يتضح لنا موقع هجر المهم على ساحل الخليج العربي وامتداده إلى البر المقابل لساحل الخليج، وبذلك

امتدت حتى اتخذت الأحساء قصبة أي عاصمة لها، وكانت تعني عاصمة البحرين لأن اسم هجر غلب على البحرين وأصبح مرادفاً له، خلال سيطرة القرامطة على هذه الرقعة الجغرافية الواسعة في الأعم الأرجح .

ويسمي ابن خرداذبة البحرين مدينة، ويؤكد أنها تقع على شط العرب، وهو الشط الأيمن من الخليج العربي[٦٥]، أي أنها تقع على الساحل الغربي للخليج العربي، وتسمية هذا الساحل بـ : شط العرب تؤكد عروبة هذا الساحل الذي تقع عليه البحرين وهو الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية .

أما ابن رستة فحدد موقع البحرين في الإقليم الثاني من أقاليم المعمورة، وسماها : مدينة وكذلك أطلق التسمية نفسها على هجر واليمامة[٦٦]، مما يؤكد أنه كان يفرق بين كل منهما، لأن كل واحدة منهما كانت مدينة قائمة بذاتها .

والغريب أن هنالك تناقضاً واضحاً بين الجغرافيين أنفسهم حول هجر، إذ عدها الجغرافي ابن خرداذبة[٦٧] قرية صغيرة ضمن قرى البحرين، في حين ذكر الجغرافيون أنها مدينة البحرين العظمى، وأنها كبرى مدن البحرين، ولا نجد مبرراً واضحاً لهذا التناقض، فكيف تتحول هجر من مدينة كبرى وعظمى إلى مجرد قرية من قرى البحرين ؟ !

وهذا الأمر ينطبق تماماً على المشقر، وهي ناحية مهمة من نواحي البحرين ومدنها الكبرى، يقول الهمداني[٦٨] : "إذا أجملنا أرض البحرين وهي أرض المشقر فهي هجر مدينتها العظمى . ." .

ونستنتج من هذا النص أن أرض البحرين عرفت باسم : أرض المشقر، وأن مدينة هجر تقع ضمن تلك الأرض، ولما أصبحت (هجر) هي الاسم الغالب على البحرين، فإن أرض البحرين أصبحت هي أرض المشقر التي شكلت هجر جزءاً منها .

والمشقر من المدن الكبيرة التي تقع على الطريق البري، وهو طريق الإبل، الذي يربط بين هجر مدينة البحرين والبصرة، وكان يستغرق في المسير خمسة عشر يوماً، وكانت المشقر متميزة بدليل أن المسجد الجامع كان بها [٦٩]، ووصف الهمداني[٧٠] المشقر فقال :

"المشقر بالبحرين نحو هجر وبه نخل لا يبرح الماء في أصوله . . . " .

وعلى الرغم من أهمية المشقر ومنزلته الكبيرة نجد كلا من ابن خرداذبة[٧١] وقدامة بن جعفر[٧٢] يطلقان عليها تسمية : قرية، في ذكرهما لقرى البحرين، وهذا تناقض يشابه تسمية هجر التي كانت مدينة البحرين الكبرى، لكن ابن خرداذبة سماها : قرية .

وهكذا نجد الاختلافات كثيرة ومستمرة في كل المواضيع التي تناولها الجغرافيون العرب والمسلمون من الكتاب والبلدانيين، فقد عدوا البحرين من إقليم العروض الذي شمل أيضاً كلاً من عمان واليمامة[٧٣].

وهنالك من الجغرافيين من ذكر أن البحرين في ناحية نجد، وأكبر أعمالها ومدنها هجر، ولكنها ليست من الحجاز[٧٤].

وذكر المقدسي في حديثه عن الأحساء أنها قصبة هجر، أي عاصمتها، وأنها أي الأحساء تسمى : البحرين، وجعل اليمامة ناحيتها[٧٥]، والناحية هي الحلقة الإدارية التابعة للمدينة ولا ندري ما علاقة اليمامة بهذه التبعية إلى هجر، وهي التي عدها الجغرافيون الفاصل الغربي للحدود بين البحرين وشبه جزيرة العرب، فضلاً عن أن اليمامة تقع في إقليم العروض، وهي إقليم مستقل عن البحرين الذي عده الجغرافيون تارة ضمن إقليم العروض وأخرى ضمن إقليم نجد، والحجاز ما حجز فيما بين اليمامة والعرض[٧٦]، كل هذه الاختلافات والتناقضات والتداخلات بحاجة إلى توضيح وتدقيق للوصول إلى الحقيقة التي غطتها أقلام الجغرافيين وطمستها بشكل غريب .

٣ - مدن البحرين

أفاض الجغرافيون في ذكر مدن البحرين، واختلفوا حولها من خلال وصفهم لها، وإطلاق التسميات المختلفة عليها، ولما كانت البحرين تضم المنطقة الممتدة من البصرة، ومن كاظمة شمالاً إلى عمان الشمالي جنوباً، فقد ذكر الجغرافيون منازل الطريق بين البصرة وعمان، وهذا يعني أن تلك المنازل كانت تابعة للبحرين .

وصف ابن خرداذبة الطريق من البصرة إلى عمان على الساحل أي طريق البحر، ويعني به الساحل الغربي للخليج العربي بقوله[٧٧] : "من البصرة إلى عبادان[٧٨] ثم إلى الحدوثة ثم إلى عرفجا ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المقر ثم إلى عصى ثم إلى المعرس ثم إلى خليجة ثم إلى حسان، ثم إلى القرى ثم إلى مسلحة ثم إلى حمض ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العقير[٧٩] ثم إلى قطر ثم إلى السبخة ثم إلى عمان وهي صحار ودبا" .

ويتفق قدامة بن جعفر[٨٠] مع ابن خرداذبة في وصف منازل الطريق ولكن بصورة معكوسة تماماً، فهو يبدأ من عمان إلى البصرة، إذ يقول : "والمنازل من عمان إلى البصرة السبخة وهي بين عمان والبحرين، قطر، العقير، ساحل هجر، حمض، مسلحة[٨١]، القرنتين[٨٢]، حسان، خليجة، المعرس، عصى، المقر، الزابوقة، عرفجا، الحدوثة، عبادان"، وبعد عبادان تأتي االبصرة، ويتفق الاثنان على تحديد ستة عشر موضعاً طوال الطريق الممتد من البصرة إلى عمان وبالعكس .

ويشير المسعودي[٨٣] إلى مدن ساحل البحرين، وفي مقدمتها جزيرة أوال، التي عرفت البحرين قديماً باسمها، ثم مدن الزارة والعقل[٨٤] والقطيف في ساحل هجر .

ويتضح لنا أن ساحل هجر في المصادر الجغرافية الثلاثة هذه، كان ضمن تبعية البحرين وضم ذلك الساحل ميناء العقير وكذلك مدينة القطيف، وهي من مدن الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية قديماً، وقد أوضحنا كيف أن تسمية (هجر) طغت على اسم البحرين، فأصبحت المدينة العظمى للبحرين، ومدينتها الكبرى، واتخذت الأحساء قصبة أي عاصمة ومركزاً لها . وذكر الهمداني[٨٥] أن الهجر تعني القرية بلغة حمير والعرب العاربة من أهل اليمن، ومنها عدة مواضع أشهرعا : هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان .

وينقل ابن الفقيه[٨٦] عن أبي عبيدة أن بين هجر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل، ويعدد منازل الطريق وهي : الخط[٨٧] والقطيف والآرة وهجر والبينونة[٨٨] والزارة وجوانا[٨٩] والسابور ودارين

والغابة وقصبة هجر الصفا والمشقر[٩٠] والشبعان والمسجد الجامع في المشقر وبين الصف والمشقر نهر يجري يقال له : العين .

ويتضح لنا من نص ابن الفقيه هذا أن هذه المنازل هي مدن ومحطات تتبع البحرين التي اتصفت بامتدادها واتساعها حيث وصلت إلى الخط والقطيف على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن امتدادها في البر المقابل للساحل ضمن شبه الجزيرة العربية اليوم ، وكان بعض هذه المنازل يمثل أهمية مثل المشقر التي كان بها المسجد الجامع مما يدلل على أهميتها وأنها كانت تمثل مركزاً إدارياً متميزاً .

ويقرر ابن الفقيه أن هجر هي مدينة البحرين ، بمعنى أن البحرين هي القطر وهجر عاصمته ، وهذا أمر يدلل على وقوع الخلط واللبس بين البحرين وهجر ، ومن المعتاد أن يعرف الإقليم باسم عاصمته . وهكذا عرف اسم هجر لدى الجغرافيين المتأخرين بأنه يشمل جميع البحرين ، ولما كانت هجر تقع على ساحل البحر ، فكان هذا الطريق الذي وصفه ابن الفقيه يبدأ من حدود الأقاليم الساحلية الشمالية ، لأن هجر تعد من حيث الموقع رابع محطة على طول الطريق ، مما يرجح أن اسم البحرين هنا منسوب إلى الإقليم وليس العاصمة .

وينقل الهمداني[٩١] معلوماته تحت عنوان : البحرين وضواحيها عن أبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح اليشكري ، ويصفه بأنه سكن هذه المواضع ونجعها ورعاها وسافر فيها وكان بها خبيراً ، ويبدأ بهجر ويصفها بأنها مدينة البحرين العظمى ، وهي سوق بني محارب من عبد القيس ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين - كما ذكرنا - ، ومنها القطيف وهي قرية عظيمة الشأن وساحل ، ثم العقير من دونه وهو ساحل وقرية ، ثم السيف سيف البحر وهو من أوال على يوم ، وأوال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم في يوم ، ثم الستار وتعرف بـ : ستار البحرين ، والفطح وهو طريق بين الستار والبحر إلى البصرة ، ثم كاظمة البحور .

وفي موضع آخر أجمل الهمداني[٩٢] أرض البحرين ، التي سماها - كما ذكرنا - : أرض المشقر ، وهي هجر مدينتها العظمى والعقير والقطيف

والأحساء ومحلم نهرهم، كما تشمل ما يطوف بها وتقع بينها وبين البصرة، وبينها وبين اليمامة، وبينها وبين نجد. وهكذا يتضح لنا رسم حدود البحرين والفواصل التي تفصله عن كل من البصرة واليمامة ونجد ويذكر من جملة تلك المواقع الفاصلة سفوان والنقار وكاظمة ومسلحة والسودة ووادي أبي جامع والجاشرية والقرنتان لبني تميم والرصافة، ثم يقول : "انقضت أرض البحرين" .

أما المقدسي[٩٣] فذكر أن هجر قصبتها الأحساء، أي أن الأحساء هي عاصمة هجر التي صارت اسماً شاملا للبحرين، ومدنها : سابور، الزرقاء، أوال، العقير .

ويؤكد المقدسي[٩٤] ثانية أن الأحساء قصبة هجر، ويذكر أن الأخيرة تسمى البحرين، أي أن هجر هو الاسم الذي طغى وشمل بلاد البحرين، ويصف بعض هذه المدن وتميزها بأهمية خاصة مثل الزرقاء وسابون التي اتخذت مراكز لخزائن القرامطة ومركز إدارتهم وكذلك أوال التي وصفها بأنها مدينة، فضلاً عن سائر المدن في البحر أو القريبة منه، ويوضح المقدسي أن اليمامة ناحية وقصبتها الحجر[٩٥]، وهو بلد كبير جيد التمور، يحيط به حصون ومدن منها الفلج، و هذا يوضح لنا أن اليمامة هي الحد الغربي الفاصل عن البحرين، ومن مدنها الفلج وهي تسمية حفر أبي موسى الأشعري المعروف بحفر الباطن، والحجر عاصمة اليمامة هي التي قامت على أنقاضها مدينة الرياض اليوم .

وهكذا نستنتج أن الدارس للساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية يجد صعوبة بالغة في التعرف على المدن الواقعة عليه وتقابله صعوبة رئيسية تتمثل في الحلاف بين الجغرافيين فيما يتعلق بتلك المناطق بالذات، ثم فيما يتعلق بمعنى كل من المدينة والقرية بعد ذلك، فالتمييز بينهما غير واضح دائماً، إذ يسمي أحدهم منطقة ما مدينة ويسميها الآخر - في العصر نفسه - قرية، وهذا ما درسناه حول هجر بالذات واختلاف الجغرافيين حولها .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المقدسي[٩٦] ينفرد بين معاصريه ويتميز بدقة في التعبير المحدد، فهو يضع بين يدي القارئ تحديداً لما يفهمه هو في

التميـيز بـين المصطلحـات الجغرافيـة المتعلقة بـالمواضع، فقد شبه الأمصـار بـالملوك والقصبـات بالحجـاب والمـدن بالجند والقرى بالرحالة، وأورد معلومة تتعلق باختلاف مفهوم المصر والأمصار، ونقل قول الفقهاء فيه فقال : "المصر كل بلد جامع يقام فيه الحدود، ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رسـتاقه . . ."، وعند أهل اللغة : "المصر كـل مـا حجـز بـين جـهتين مثـل البصـرة والرقـة وأرجان" . والمصر عند العوام كـل بلـد كبير جليل مثل الري والموصل والرملة، ثم يحدد مفهومه للمصر إذ يقول : "وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقُلِّدت منه الأعمال وأضيف إليه مدن الإقليم مثـل دمشق والقيروان وشيراز"، ويضيف أيضاً ليحدد المصر قوله : "وربما كـان للمصر أو للقصبة نواح لها مدن مثل طخارستان ليلخ والبطائح لواسط والزاب لأفريقية" .

وهكذا يتضح لنا أن المصر بلد واسع يكون مركز الخليفة أو الوالي أو ولي الأمر المسئول وفيه الدواوين ومنه تصدر الأوامر بتقليد الأعمال، وللمصر نـواح عديـدة تتبعـه، وقـد عرفت الأمصـار في الدولـة العربية الإسلامية في العصر الراشدي بعد قيام حروب التحرير العربية الإسلامية واتساع حركة الفتوح، وكانت الأمصار في بـادئ الأمـر تعـني المعسكرات الخاصـة بـالجند والـتي بنيـت علـى أطـراف الصحـراء لحمايـة مكتسـبات الدولـة العربية الإسلامية والحفاظ على حدودهـا والدفـاع عنـها ضـد الخطـر الفارسـي والبيزنطي، وتم بنـاء تلك الأمصـار في العراق ومصـر في عـهد الخليفة الفـاروق عمر بن الخطاب (رض)، وهي : البصرة والكوفة والفسطاط .

انفرد ابن الفقيـه[٩٧] بـين جغرافيـي القرنين الثالث والرابع الهجريين، فذكر نقلاً عـن الحسـن البصـري أن البحريـن كانت أحد الأمصار التي مصرها الخليفة عمـر بـن الخطـاب (رض)، إذ يقـول : "وقـال الحسـن [البصري] مصَّر عمـر سبعة أمصار المدينـة والبحريـن والبصـرة والكوفة والجزيرة والشام ومصر" . ونعتقد أن ما ذكره الحسن البصري غير دقيـق، إذ أن الخليفة عمر مصَّر - كمـا ذكرنـا - في عـهده وبايعـاز إلى قادتـه العسـكريين كلاً مـن : البصـرة والكوفـة والفسـطاط، وهـي معسـكرات بنيـت علـى أطـراف الصحـراء لتكـون مقـرات القيـادات

العسكرية، أما المدينة المنورة والبحرين والجزيرة والشام ومصر فكانت قائمة قبل الإسلام، ولعل من المرجح أن المقصود من هذا النص أن الخليفة عمر (رض) جعل لهذه المناطق أهمية من خلال إقامة الجيوش فيها وبناء المؤسسات الإدارية والمالية فيها، لتنظيم شئون سكانها بعد اتساع حركة التحرير العربية الإسلامية كما أن مفهوم الأمصار تغير بعد ذلك، فأصبح كما ذكر المقدسي (أي المصر) يعني كل ما حجز بين جهتين، وكل بلد كبير جليل، لهذا صارت المصادر تطلق لفظ الأمصار على كل من العراق وبلاد الشام ومصر والجزيرة الفراتية وذلك للدلالة على البلدان الكبيرة المتميزة.

وهنالك اختلاف حول هذه الأمصار التي نسب تمصيرها إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، يقول الرازي[٩٨]: "ومصّر عمر الأمصار السبعة: مصر والشام. والجزيرة والكوفة والبصرة والبحرين، وكان الحسن البصري لا يجعل واسطاً مصراً ولا غيرها سوى هذه الأمصار التي مصّر عمر. وقال الحسن: إن عمر مصّر سبعة أمصار: المدينة، ومصر، والشام، والجزيرة، والكوفة، والبصرة، والبحرين، فهذه السبعة هي الأمصار. ومدّن عمر المدائن، وجند الأجناد ودوّن الدواوين، وعرّف العرفاء ووضع الخراج...".

ويتضح لنا من نص الرازي أن هنالك اختلافاً في الشطر الأول من النص، إذ ورد فيه ذكر ستة أمصار، أي حذف اسم المدينة، ونستنتج أن المصر البديل لها هو: واسط، الذي رفض الحسن جعلها مصراً، لسبب منطقي ومعقول هو أن واسط بنيت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٨١هـ، أو عام ٨٢هـ/٧٠١م، في عهد والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، لذا فليست هنالك علاقة بين تمصيرها وعهد الخليفة عمر بن الخطاب، لذلك اعتمد الرازي رواية الحسن البصري الصحيحة في الشطر الثاني المكمل للنص، والذي جعل الأمصار سبعة بحذف واسط وذكر المدينة المنورة بدلاً منها، وهي نفس الرواية التي تتطابق مع ما ذكره بن الفقيه، باستثناء التقديم والتأخير في تسلسل ذكر أسماء تلك الأمصار السبعة.

واستناداً إلى ما ذكره المقدسي[٩٩] فإن عدد أقاليم مملكة الإسلام أربعة عشر،

ستة عربية، هي : جزيرة العرب، العراق، أقور، الشام، مصر، المغرب، وثمانية أعجمية، ويضيف أنه لابد لكل إقليم من كور، ثم لكل كورة من قصبة، ولكل قصبة من مدن، باستثناء الجزيرة والمشرق والمغرب، فإن لكل واحد مصرين، والمصر قصبة كورته، وليس كل قصبة مصراً ثم الأمصار اسم كورها أيضاً .

ونستنتج من قول المقدسي أن مفهوم المصر في عصره، أي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، يختلف تماماً عن مفهومه الذي ذكرناه في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وبالتحديد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ١٣ - ٢٣ هـ/٦٣٤ - ٦٤٣م، فالمصر في عصر المقدسي قصبة أي عاصمة أو مركز إدارة للكورة التي يتبعها، وليست كل قصبة تعني مصراً، بل إن الأمصار تعني أسماء الكور، التي تضم عدة نواحٍ وقرى، ومن الكور يتكون الإقليم. فالعراق الإقليم المتميز أمصاره البصرة ثم الكوفة ثم واسط بعد ذلك في العصر الأموي، ولكل مصر أهميته لأنه يشمل كورة معروفة باسمه، وهكذا الحال بالنسبة لبقية أمصار الدولة العربية الإسلامية، ومنها البحرين .

ومن التسميات الأخرى التي أطلقت على البحرين، اسم المنبر، ويجعله لغدة الأصفهاني(١٠٠) أحد المنابر الأولية، وهي : مكة والمدينة واليمن ودمشق واليمامة والبحرين والكوفة، فضلاً عن (حجر) عاصمة اليمامة التي وصفها بأنها : منبر، ومنبرها أحد المنابر الأولية .

والمؤلف نفسه يذكر(١٠١)منبر الأحساء ويسميها : إحساء هجر، ويبدو أن الأحساء لم تكن مستقلة، لذلك لم يذكرها ضمن المنابر السابقة، ويوضح أن الدعوة في منبر الأحساء كانت لصاحب اليمامة، وأن واليها كان يعين من قبل عامل اليمامة، مما يؤكد تبعية الأحساء إلى اليمامة في عصر الأصفهاني نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري .

وذكر الحربي(١٠٢)الطريق من البصرة إلى البحرين، وأن أول مدينة تدخلها منبر بتاج، وبهجر منبران عظيمان، بينهما فراسخ، أحدهما في مملكة ابن عياش من عبد القيس ومنزله (نحم

أهجر)، والآخر في (جبلة) في مملكة موسى بن عمران بن الرجاف، وبالعقير منبر لبني الرجاف من عبد القيس، وفي يبرين منبران ومنبر بالفيل لبني جعدة، وفي القليعة منبر .

إن ما ذكرناه من المنابر يشمل مناطق تابعة للبحرين، فضلاً عن أن البحرين نفسها سميت : منبر، وهنا لابد لنا من توضيح معنى (منبر)، فالمقصود بالمنبر المكان الذي تقام فيه الجمعة، ويتفق الفقهاء على أن من شروط وجوده وجود مجتمع مقيم ذو عدد كافٍ، ويرى آخرون ضرورة وجود والٍ فيه دون أن يعينوا مكانه، لذا فإن المواضع التي ذكرناها والتي اقترنت باسم : منبر، تدلل على أنها كانت مراكز إدارية مهمة فيها الولاة المسئولون عن إدارتها وتمشية أمور سكانها وحل مشاكلهم، لكن المصادر لا تحدد ما إذا كانت في هذه الأماكن وحدات إدارية تتبع كل منها القصبة هجر، أم أن بعضها وحدات إدارية صغرى تتبع وحدة أكبر متصلة بهجر[١٠٣].

وناقش الدكتور عبد الجبار ناجي[١٠٤] مصطلح (منبر)وأهميته في خصائص المدينة العربية مناقشة مستفيضة، وهو دلالة على أن المكان الذي يشمله يكون مدينة بالفعل، ورأى بعض الكتاب أنه يعادل موضوع (المسجد الجامع)، فالمنبر في رأيهم هو : الجامع، لكن تعبير منبر الذي أورده الجغرافيون لم يكن في جميع الأوصاف الجغرافية وفي جميع الأحوال مرادفاً لتعبير : المسجد الجامع، لأن هناك عدداً من الحالات التي كان فيها المنبر، يمثل بحد ذاته وحدة إدارية لا علاقة لها بالمسجد الجامع، في الوقت نفسه فإن تعبير المنبر لم يكن محدداً بالمدن، وأن عدم وجوده يقلل من مرتبة المركز أو الموضع التمدني، لأن هؤلاء افترضوا أن المكان الذي لا يتوفر فيه منبر لا يعد مدينة .

بعد هذه الوقفة العارضة حول مفهوم المصر والمنبر، نعود إلى ما ذكره بقية الجغرافيين حول مدن البحرين، ذكر المسعودي[١٠٥] في حديثه عن سيطرة أبي سعيد الجنابي على البحرين ومدنها المهمة، وهي : القطيف، والزارة[١٠٦] وصفوان والظهران والأحساء وجواثا

وهجر وكانت أعظم مدن البحرين، وللقطيف مدينة على الساحل يقال لها : عُنُكْ، كما ذكر (ص ٣٨٩) الجابرية وهي من الأحساء على ثلاثة أيام .

أما ابن حوقل(١٠٧) فذكر مدن البحرين وهي : هجر والأحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال وهي جزيرة . وقبل أن ننهي دراستنا لهذا البحث، نود أن نشير إلى أننا ربما سنعود لذكر بعض هذه المدن في مباحثنا القادمة ،كذلك ذكرت بعض المصادر هذه المدن بصيغة أخرى، إذ أطلقت عليها تسمية قرى كما سنبحثها في دراستنا عن قرى البحرين، وهكذا كانت البحرين إقليماً متميزاً يضم العديد من المدن والمراكز الكبرى ذات الموقع الجغرافي المتميز، بعضها على ساحل الخليج العربي وبعضها الآخر في الداخل، وكان بعضها مراكز إدارية واقتصادية وكذلك سياسية أحياناً .

٤ - قرى البحرين

++++++++++++++++++++

اختلف الجغرافيون حول إطلاق المسميات على مواضع عديدة في البحرين، إذ أطلقوا عليها تسمية مدن، كما ذكرنا في دراستنا عن مدن البحرين، لكن بعضهم أطلق عليها تسمية : قرى البحرين، وقد ناقشنا هذا الأمر سابقاً فيما يتعلق بتسمية هجر أعظم وأكبر مدن البحرين، حيث سماها البعض : قرية، وهذا التناقض والاختلاف كبير جداً ومفاجئ، إذ لا يبرر هؤلاء الجغرافيون هذه التسمية الأخيرة بسبب منطقي معقول ومقبول، ولم يوضحوا الظروف التي أدت إلى هبوط مستوى تلك المدن إلى مستوى قرى صغيرة، وهكذا تكرر هذا الأمر من قِبَل بعض الجغرافيين حول العديد من مدن البحرين، وسموها : قرى البحرين .

ذكر ابن خرداذبة(١٠٨) قرى البحرين وهي الخط والقطيف والآرة وهجر والفروق وبينونة والمشقر والزارة وجواثا وسابون ودارين والغابة والشنون . وهذه المواقع ذكر معظمها ابن الفقيه(١٠٩) نقلاً عن أبي عبيدة على أنها منازل أي مدن الطريق بين هجر مدينة البحرين والبصرة، وهو طريق الإبل الذي كان يستغرق خمسة عشر يوماً، والاختلاف بينهما حول تسمية السابون عند ابن خرداذبة، إذ وردت (السابور) عند ابن

ذكر الأصفهاني[114] نقلاً عن أبي عمرو بن العلاء المتوفى في الكوفة عام ١٤٥هـ/٧٦٢م بعض قرى البحرين، إذ يقول : "نحن دخلنا جوف والفين، ثم قال : وتيك والفون بالبحرين"، والقول لأبي عمرو بن العلاء .

يشير الهمداني[115] إلى ذكر مواقع تقع ضمن أرض البحرين، نرجح أنها قرى صغيرة، وهي : النقار (نقر في الرمل) ومسلحة والنقيرة والسودة ووادي أبي جامع والجاشرية والقرنتان لبني تميم والرصافة، ثم يقول : "انقضت أرض البحرين" .

ونقل الهمداني[116] شعراً لامرئ القيس ذكر فيه مواضع من أرض البحرين. إذ يقول : "وقال امرؤ القيس وذكر عشرة مواضع من أرض البحرين :

غشيت ديار الحي بالبكرات
فعارمة فبرقة العيرات
فغول فحليت فنفء فمنعج
إلى عاقل فالجب ذي الأمرات

وقال وذكر عشرة مواضع من أرض البحرين :

لمن الديار عرفتها بسحام
فعمايتين فهضب ذي إقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فعاسم
تمشي النعام بها من الآرام
أفما ترى أظعانهن بعاقل
كالنخل من شوكان حين صرام"

في شعر امرؤ القيس ذكر للديار القديمة من أرض البحرين، ونرجح أن معظمها قرىً ومنازل، ورد ذكر بعضها في المصادر خلال دراستنا قرى البحرين مثل صاحة وعاقل .

٥ - جبال ومياه البحرين

++++++++++++++++++++++++++++

لم تذكر المصادر الجغرافية خلال المدة موضوع البحث إلا النذر اليسير من المعلومات حول جبال ومياه البحرين وما يتصل بها من العيون والمناهل، وبخصوص جبال البحرين ربما كانت تعني بالنسبة لهم مرتفعات وهضاب أطلقوا عليها اسم : جبال .

ومن النصوص التي وصفت البحرين بكثرة جبالها ما رواه ابن الفقيه[117] عندما سأل الحجاج بن يوسف الثقفي ابن القرية[118] حول صفة البلدان ومنها

البحرين فقال ابن القرية : "كناسة بين مصرين، كثيرة جبالها . . ." .

إن هذا الوصف للبحرين الذي أطلقه ابن القرية لا يخلو من المبالغة، لأن الكُناسة تعني المنطقة المهجورة التي توصف بالقذارة فهي مكان تجمع القمامة التي تكنس وتجمع فيها، وربما تعني المقبرة، ولا يمكن إطلاق هذا الوصف القاسي على البحرين، ولعله قصد أنها منطقة متوسطة تقع بين كل من العراق وعمان، وهذا الوصف ربما ينطبق على بعض المناطق النائية والمتطرفة، وهي مناطق صحراوية معزولة، تميزت بانقطاعها وخطورة سلوكها، منها الطريق البري بين البصرة والبحرين وكذلك الطريق البري بين البحرين وعمان كما سنشير إليهما لاحقاً .

أما صفة كثرة الجبال بالنسبة للبحرين، فإن مصادرنا زودتنا بإشارات محدودة جداً عنها، في حين كانت هنالك معلومات كثيرة حول جبال البحرين في المصادر الجغرافية في القرون التالية بدءاً من القرن الخامس الحجري فما بعده .

ذكر الهمداني بوضوح جبال البحرين، وهي : ذو الخال جبل مما يلي نجد من ناحية البحرين، وذات أوعال هضبة فيها وشل من ماء، ضارج والعذيب وقطن وثيتل والستار ويذبل ومأسل جبال، المجيمر جبل لبني فزارة، وحمل وأعفر جبلان نحو عالج، وزيمر جبل، وينوف والقواعل جبلان يقال : عقاب ينوف وعقاب ملاع فيضاف إلى ينوف وإلى ملاعها، الذنابات آكام هنالك، وأم أوعال هضبة هناك(١١٩) .

تتصف البحرين بوجود عديد من الأنهار والعيون فيها، ولعل أهم وأشهر أنهارها هو نهر محلم، ويقع نهر محلم في هجر البحرين، ووصف بأنه نهر عظيم، يقال أن تبعاً نزل عليه فهاله، ومن أهميته أنه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم(١٢٠)، ولا تخلو هذه الرواية من مبالغة أسطورية واضحة حول نهر محلم فيما يتعلق بتبع الذي هاله هذا النهر !

ولأهمية نهر محلم بولغ في تسمية البحرين - كما ذكرنا -، يقول الهمداني(١٢١) : "والبحرين إنما سميت البحرين من أجل نهرها محلم ولنهر عين الجريب"، وهذا يعني أن البحرين

فراسخ أو سبعة[١٥٤] ، ومن عبادان إلى الخشبات فرسخان، وهي الخشبات المثبتة في عرض الخليج العربي بين عبادان والبحرين بهدف إيقاف السفن وتفتيشها وفرض الرسوم عليها، وهي السفن القادمة من البصرة في عرض الخليج العربي باتجاه البحرين وعمان والشرق عموماً، أو القادمة من المناطق الأخيرة نحو البصرة، ومن الخشبات إلى مدينة البحرين في شط العرب سبعون فرسخاً، ومن خلال ما ذكره ابن خرداذبة تكون المسافة من البصرة إلى البحرين ٨٤ فرسخاً، فإذا كانت المرحلة تساوي ٦ فراسخ، يكون مجموع المسافة ١٤ مرحلة، وإذا كانت المرحلة تساوي ٧ فراسخ يكون مجموع المسافة ١٢ مرحلة، في حين ذكر الأصطخري[١٥٥] أن الطريق من البصرة إلى البحرين نحو ١٨ مرحلةفي قبائل العرب ومياههم، وهو طريق مسلوك عامر، غير أنه مخوف، ولعل هذا الطريق يكون طويلاً لأنه يتخلل منازل قبائل العرب وفيه تعرجات تزيد من طوله، لكن هذه الزيادة بحدود أربع مراحل بسبب اختلاف مسالك الطريق .

إن مجموع فراسخ الطريق من عبادان إلى البحرين استناداً إلى ما ذكره ابن خرداذبة أعلاه، ٧٢ فرسخاً، أي بحدود ١٢ مرحلة، إذا احتسبنا المرحلة تساوي ٦ فراسخ، وأقل من ذلك أي بحدود ١١ مرحلة إذا احتسبنا المرحلة بحدود ٧ فراسخ، وهذا يرجح لنا رواية ابن حوقل الذي حدد المسافة من عبادان إلى البحرين بحدود ١١ مرحلة، وهي أقرب إلى القبول من غيرها .

والطريق الذي وصفناه ما بين البحرين وعبادان - كما ذكرنا - غير مسلوك وهو قفر، كما ذكر كل من الأصطخري وابن حوقل أن هذا الطريق على البحر، وطول طريق البحر، أي الطريق الساحلي من البصرة إلى البحرين على جادة الساحل نحو ١٨ مرحلة في قبائل العرب ومياههم، وهو مسلوك عامر، إلا أنه مخوف . وعلى هذا الطريق أتى سليمان بن الحسن متزوداً الماء من البحرين إلى البصرة، لعدم وجود الماء في ذلك الطريق، وهذا يوضح لنا وجود طريق آخر هو الطريق البري بين البحرين والبصرة، وهو أقصر أي طريق الجادة (الصحراء)، لذا وصفه ابن حوقل

بقوله : "ومن البصرة إلى البحرين على الجادة إحدى عشرة مرحلة"، وأوضح طريق جادة الساحل، إذ يقول :". . . من البحرين إلى البصرة ولا ماء فيه، وهو على الساحل ثمانية عشر مرحلة . ." .

وهكذا نجد الاختلاف في المسافات بين الجغرافي الواحد، فضلاً عن ذلك الاختلاف بين عدد من الجغرافيين، فتارة استخدموا مقياس المراحل، وأخرى الفراسخ، وثالثة حددوا عدد أيام السفر البري على الإبل في بعض الطرق، والأكثر من هذا كله نجد فارقاً عند ابن حوقل نفسه في تحديد المسافة بين البصرة والبحرين بإحدى عشرة مرحلة أولاً ثم ثماني عشرة مرحلة ثانياً في نفس الموضوع والصفحة، ولعله يعود إلى اختلاف طريق الجادة (الصحراء) عنه على ساحل البحر، في حين أن سليمان بن الحسن جاء من البحرين إلى البصرة على طريق الساحل بين قبائل العرب، وهو الأطول .

أما المسافة في الطريق بين البحرين والمدينة المنورة، فكانت نحو ١٥ مرحلة[١٥٦] ، ومن البحرين إلى عمان نحو شهر[١٥٧]، وهكذا اختلف الجغرافيون العرب والمسلمون في تحديد المسافات من وإلى البحرين بالفراسخ والمراحل والأيام والشهور .

ومما لاريب فيه أن هذه الطرق من وإلى البحرين سواء أكانت برية أم بحرية وسواء أكانت صحراوية أم بمحاذاة الساحل، لا تخلو من متاعب ومصاعب كبيرة، في مقدمتها الخوف وانعدام الأمان فيها، بسبب النزاعات بين القبائل العربية، فكانت معظم تلك الطرق مقفرة مخيفة يجازف سالكها بحياته، فضلاً عن شدة الحرارة في الصحراء وقلة الماء وانعدامه أحياناً، فهي تتأثر بمناخ البحرين، وهو جزء من مناخ شبه جزيرة العرب الذي يوصف بشكل عام بأنه حار لقربه من خط الاستواء، تتفاوت فيه درجة الحرارة بين الليل والنهار، ويتعرض جو البحرين لهبوب الرياح الرطبة أيام الخريف، وهو على العموم كثير الرطوبة قليل الأمطار، أما غرب البحرين فمناخه صحراوي وفي السروات يكون هواؤها معتدلاً، كما أن شتاء البحرين معتدل الحرارة قليل الأمطار[١٥٨] .

أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري

الجامعة المستنصرية/كلية التربية

قسم التاريخ

٢٩ – المصدر نفسه ج ١٢٦/١ – ١٢٧ . المصدر نفسه ص ٥١ .
٣٠ – الأعلاق النفيسة ص ٨٧ .
٣١ – مروج الذهب ج ١٦٩/١ .
٣٢ – الفرسخ مقياس من مقاييس الطول، ذكر المسعودي أن المسافة من المولتان إلى المنصورة خمسة وسبعون فرسخاً سندية، والفرسخ ثمانية أميال . مروج الذهب ج ١٩٠/١ .
والفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، أي أن الفرسخ = ١٢ ألف ذراع . الحموي . معجم البلدان ٣٥/١ – ٣٦، ولما كان الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، فإن طوله بحدود ستة كيلو مترات . أنظر : هنتس . المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩٤ و إبراهيم . عدن ص ٨٣ .
٣٣ – مروج الذهب ج ١٢٦/١ .
٣٤ – المصدر نفسه ص ١٢٥ . وذكر ذلك أيضاً : الأصطخري . المسالك والممالك ص ٧٥ .
٣٥ – العرب والنشاط التجاري في المحيط الهندي ص ١٢١ .
٣٦ – عرفت المصادر الجغرافية التي عنيت بأقاليم المعمورة السبعة بـ : كتب الأزياج، واعتمدنا في بحثنا كتاب صورة الأرض الذي استخرجه محمد بن موسى الخوارزمي من كتاب جغرافيا الذي ألفه بطلميوس القلوذي، وعاش الخوارزمي في القرن الثالث الهجري، واعتمدنا كذلك كتاب : عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، ومؤلفه سهراب من أهل النصف الأول من القرن الرابع الهجري، والكتابان من الأزياج . أي كتب الجداول الفلكية التي تعين خطوط الطول والعرض للأماكن .
٣٧ – صورة الأرض ص ١١ (مدينة أولا) و ص ١٤ مدينة البحرين .
٣٨ – عجائب الأقاليم السبعة، ص ٢٢، وجعل (هجر) ضمن مدن الإقليم الثالث .
٣٩ – الأعلاق النفيسة ص ٩٦ .
٤٠ – اتفق الخوارزمي وسهراب على أن مدينة جدة تقع ضمن مدن الإقليم الثاني . صورة الأرض ص ١٠ و عجائب الأقاليم السبعة ص ١٧، وذكر الأخير أن مدينة اليمامة من مدن الإقليم الثاني أيضاً . المصدر نفسه ص ١٨ .
٤١ – صفة جزيرة العرب ص ٥٤، ووردت نقاط . . . بعد ذكر عرض البحرين .
وذكر المحقق الأكوع في هامش ص ٥٤ أن ذلك البياض (أي الفراغ) ورد هكذا في الأصول . ولما كانت الدرجة تساوي ٢٥ فرسخاً، وهي تنقسم إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة إلى ٦٠ ثانية (الحديثي . البحرين في المصادر الجغرافية ص ٣٣ هامش رقم ١٩)، تكون مساحة البحرين ١١٣ × ٢٥ = ٢٨٢٥ فرسخاً، ولما كان الفرسخ = ٦ كيلومترات تقريباً، تصبح مساحة البحرين : ١٦,٩٥٠ كيلو متراً .
٤٢ – المسالك والممالك ص ٥٩ – ٦٠ .
٤٣ – قدامة . الخراج وصنعة الكتابة ص ١٩٣ .
٤٤ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .

٤٥ – كتاب صورة الأرض ص ١٠٢ .
٤٦ – زيادة . الساحل الشرقي للجزيرة العربية ص ٢٥٠ .
٤٧ – البحرين في صدر الإسلام ص ١٧ .
٤٨ – العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي ص ٦٣ .
٤٩ – العصفوريون وقصة ١٥٠ عاماً غامضة في تاريخ البحرين، مجلة الوثيقة، العدد (٣)، ١٩٨٣، ص ٢٦ – ٢٧ .
٥٠ – البحرين في المصادر الجغرافية ص ٣٣ .
٥١ – البحرين علاقاتها الإدارية والسياسية بالخلافة العباسية، مجلة الوثيقة، العدد (٣٣)، ١٩٩٨، ص ٤٧ .
٥٢ – أنظر حول النقطة الثالثة : المسري . العلاقات ص ٤١ – ٤٢ .
٥٣ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٣٠ .
٥٤ – صفة جزيرة العرب ص ٣٣٢ .
٥٥ – المصدر نفسه ص ٢٧٩، ٣١٧ .
٥٦ – المصدر نفسه ص ٣١٧، ويقول : "إذا أجملنا أرض البحرين وهي أرض المشقر فهي هجر مدينتها العظمى والعقير والقطيف والأحساء ومحلم نهرهم . . ." .
٥٧ – البلخي . صور الأقاليم ورقة ٧، ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
٥٨ – أحسن التقاسيم ص ٦٨ – ٦٩ .
٥٩ – المصدر نفسه ص ٤٧ .
٦٠ – المصدر نفسه ص ٧١ .
٦١ – المصدر نفسه ص ٩٣، ويسميها لغدة : إحساء هجر . بلاد العرب ص ٣٢٦ .
٦٢ – عجائب الأقاليم السبعة ص ٢٢، في حين ذكر الخوارزمي أن البحرين على البحر (أي على الخليج العربي)، وهي من مدن الإقليم الثالث . صورة الأرض ص ١٤ .
٦٣ – المسالك والممالك ص ٦٠ .
٦٤ – الخراج وصنعة الكتابة ص ١٩٣ .
٦٥ – المسالك والممالك ص ٦٠ .
٦٦ – الأعلاق النفيسة ص ٩٦ .
٦٧ – المسالك والممالك ص ١٥٢ .
٦٨ – صفة جزيرة العرب ص ٣١٧ .
٦٩ – ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
٧٠ – صفة جزيرة العربص ٣٣٠ .
٧١ – المسالك والممالك ص ١٥٢، وذكرها ضمن منازل الطريق من اليمامة إلى مكة . المصدر نفسه ص ١٤٧

٧٢ – الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٤٩ .
٧٣ – الحربي . المناسك وأماكن طرق الحج ص ٥٣٤، ٥٣٧، ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ٢٧ .
٧٤ – البلخي . صور الأقاليم ورقة ٧ ، الأصطخري . المسالك والممالك ص ٢٣، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٣٨ .
٧٥ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٧١، ٩٣ .
٧٦ – المناسك وأماكن طرق الحج ص ٥٣٧ .
٧٧ – المسالك والممالك ص ٦٠ .
٧٨ – عبادان : حصن صغير عامر على شط البحر ومجمع ماء دجلة، وهو رباط فيه محارس للقطرية والصفرية وغيرهم من رواد البحر، الذين يرابطون فيه دائماً . الأصطخري . المسالك والممالك ص ٣١، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٥٣ .
٧٩ – فرضة (ميناء) العين وعمان والبصرة واليمن على ساحل البحر (أي الخليج العربي) . الحربي . المناسك ص ٦٢٠، وذكر الهمداني أنها ساحل وقرية دون القطيف، وبه نخل يسكنه العرب من بني محارب . صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ .
٨٠ – الخراج وصنعة الكتابة ص ١٩٣ .
٨١ – مسلحة : بئر كانت أجاجاً تذرب (تسهل) البطون ثم عذب ماؤها فصار فراتاً . الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣١٧ .
٨٢ – من منازل بني تميم في الطريق بين البصرة وعمان، وهي من نواحي البحرين . الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣١٧، يقول لغدة الأصفهاني : "فإذا جاوزت النباج والقريتين فقد أنجدت"، أي دخلت أرض نجد . بلاد العرب ص ٣٣٨ .
٨٣ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١٢٦/١ .
٨٤ – ذكر الهمداني موقع عاقل من البحرين . صفة جزيرة العرب ص ٣٢٨، وذكر أنه ورد في شعر امرؤ القيس، كما ورد في بيت شعر آخر غير منسوب إلى شاعر . المصدر نفسه ص ٣٩٠، وعاقل موضع في أرض البحرين .
٨٥ – صفة جزيرة العرب ص ١٧٠ .
٨٦ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
٨٧ – الخط هو ساحل البحرين، ذكر الهمداني أن الخط في البحرين، وإليه تنسب الرماح الخطية . صفة جزيرة العرب ص ٣٣١، وذكر الدكتور الحميدان أن الخط هي القطيف، صفوان طرفها الشمالي، والظهران طرفها الجنوبي . العصفوريون وقصة ١٥٠ عاماً غامضة في تاريخ البحرين ص ٦٩ .
٨٨ – بينونة بين عمان والبحرين، وليست بينونة في اليمن، وهو موضع سمي بالمصدر في قولهم بأن يبين بينونة، إذا بعُد، وهو موضع بين البحرين وعمان، وبينه وبين البحرين ستون فرسخا . الحموي معجم البلدان مجلد ١ ص ٥٣٦ . ولما كان الفرسخ = بحدود ٦ كيلومترات، فالمسافة بين بينونة والبحرين هي بحدود ٣٦٠ كيلومتراً، والمرجح أن بينونة هي قطر حالياً .

٨٩ - جواثا : موضع في البحرين . الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٣٠، وورد في شعر كثير، إذ يقول :

كَدَهِم الركاب بأثقالها غدت في سماهيج أو جواثا
إذا حلّ أهلي بالأبرقين أبرق ذي جدد أو دءاثا

جواثا في البحرين، ودءاثا بتهامة . الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٩٤ .

٩٠ - تقترن الصفا بالمشقر وعرفت الأخيرة هنا بأنها قصبة هجر، أي عاصمتها، وفي المشقر المسجد الجامع، وبينهما نهر يسمى : العين، وقد أوضحنا أهمية المشقر راجع هامش (٥٦)، مما يعني أن الصفا والمشقر والشبعان هي أحياء منفصلة تتكون منها مدينة هجر الكبيرة أو منطقة هجر، وسيرد ذكر المشقر في دراستنا اللاحقة .
ورد ذكر المشقر والصفا في شعر طرفة بن العبد، حيث انتشرت فيهما عبادة الفَرَسْ (الخيل) وهي : الأسبذ، فسمي سكانها : الأسبذيين، إذ يقول :

فأقسمت عند النصب أني لهالك بملتفة ليست بغيظ ولا خفض
خذوا حذركم أهل المشقر والصفا عبيد أسبذ ويحزى من القرض

آل ثاني، د. روضة . دراسة في جوانب من ديانات العرب ص ٣٠ .

٩١ - صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

٩٢ - المصدر نفسه ص ٣١٧ .

٩٣ - أحسن التقاسيم ص ٧١ .

٩٤ - المصدر نفسه ص ٩٣ - ٩٤، وذكر المسعودي أن الأحساء في بلاد البحرين . التنبيه والإشراف ص ٣٨٠، ٣٩٠ .

٩٥ - المصدر نفسه ذكر الحربي أن حجر هي مدينة اليمامة، ووصفها بأنها : (منبر)، وهي أم القرى . وبها ينزل صاحب الملكة، وحجر شركة إلا أن الأصل لبني حنيفة . المناسك ص ٦١٦ - ٦١٧، ووصفها لغدة الأصفهاني بأنها : سرة اليمامة وهي منزل السلطان والجماعة، ومنبرها أحد المنابر الأولية، ومعظم أهل حجر بنو عبيد . بلاد العرب ص ٣٥٧، ووصف الهمداني حجر بأنها أرض اليمامة وهي مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها، وإليها تجلب الأشياء . صفة جزيرة العرب ص ٣٠٧ .

٩٦ - أحسن التقاسيم ص ٤٧ .

٩٧ - مختصر كتاب البلدان ص ٥٧ - ٥٨ . أنظر أيضاً : الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ص ١٠٧ .

٩٨ - تاريخ مدينة صنعاء ص ١٠٧، ينظر كتابنا : البصرة في نصوص تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص ٥٠ - ٥١ .

٩٩ - أحسن التقاسيم ص ٤٧ .

١٠٠ - بلاد العرب ص ٣٥٧ .

١٠١ - المصدر نفسه ص ٣٢٦ .

١٠٢ – المناسك ص ٦٢٠ – ٦٢٢ .
١٠٣ – النجم . البحرين في صدر الإسلام ص ١٢٠ – ١٢١ .
١٠٤ – دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ص ٨٥ – ٨٦، للمزيد من التفاصيل يراجع : المرجع نفسه ص ٨٧ – ٩٥ .
١٠٥ – التنبيه والإشراف ص ٣٩٢ – ٣٩٣ – ٣٩٤ .
١٠٦ – هي قرضة من فرض البحر، وهي لأحمد بن سليم العبدي رئيس أهل القطيف، وسكانها عبد القيس . الحربي . المناسك ص ٦٢١ .
١٠٧ – صورة الأرض ص ٣٣ .
١٠٨ – المسالك والممالك ص ١٥٢ .
١٠٩ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
١١٠ – الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٤٩ .
١١١ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ – ٣١ .
١١٢ – صفة جزيرة العرب ص ٣٢٨ – ٣٣٠، ووعال في بلد ذبيان . نفسه ص ٣٣١ .
١١٣ – المصدر نفسه ص ٣٣٠ – ٣٣١ .
١١٤ – بلاد العرب ص ٣٥ .
١١٥ – صفة جزيرة العرب ص ٣١٧ .
١١٦ – المصدر نفسه ص ٣٩٠ .
١١٧ – مختصر كتاب البلدان ص ٩٢ .
١١٨ – ابن القرية : اسمه أيوب بن زيد بن قيس الهلالي، وكنيته أبو سليمان، كان من فصحاء العرب وبلغائهم وأجوادهم، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٤هـ/٧٠٣م ثم ندم على مقتله . للتفصيل عنه ينظر : حبيب علي . ابن القرية، مجلة المورد، المجلد الخامس، العدد الثالث، (بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص ٥٩ – ٦٢ .
١١٩ – صفة جزيرة العرب ص ٣٢٩ – ٣٣٠ .
١٢٠ – المصدر نفسه ص ٣٠٦، أنظر عن نهر محلم وأهميته ص ٣١٧ .
١٢١ – المصدر نفسه ص ٢٨١ .
١٢٢ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .
١٢٣ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٣٠ .
١٢٤ – المصدر نفسه ص ٣٠٩، وذكر أنه يجتمع عليها كثير من وراد العرب، وربما سقي عليها عشرة آلاف بعير.
١٢٥ – المصدر نفسه ص ٣١٧ .
١٢٦ – ذكر الحربي أن تسمية النباج تعود لكثرة أهلها وكثرة الأصوات، يقال : رجل نباج إذا كان كثير الكلام . المناسك ص ٥٨٦، وأوضح الهمداني أن النباج بلاد كثيرة القرى يقال له نباج بني عامر .

صفة جزيرة العرب ص ٢٨٠ . وروى الأصفهاني أن حد نجد من النباج، وهو لبني عبد الله بن عامر بن كريز . بلاد العرب ص ٣٣٩ . وللبصرة إلى مكة طريقان، أحدهما تكون الصحراء عن يسارك، فإذا جاوزت النباج والقريتين فقد أنجدت، أي دخلت نجد . المصدر نفسه ص ٣٣٨ .

١٢٧ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٢٨٠ .

١٢٨ – يبرين : وهو بحذاء عمان ينزله بنو سعد بن زيد مناة، ومنهم بنو عوض بن سعد . الأصفهاني . بلاد العرب ٣٤٣، ويبرين رمل يطلق على الجزء الشمال الشرقي من الربع الخالي، نسبة إلى واحة يبرين الواقعة على ذلك الطرف . الغنيم . أقاليم الجزيرة العربية ص ٨٠، وذكر المسعودي أن يبرين في اليمامة . التنبيه والإشراف ص ٣٩٤ .

١٢٩ – الهمداني صفة جزيرة العرب ص ٢٨١ .

١٣٠ – المصدر نفسه ص ٣٠٦، وعن نهر محلم، يراجع : المصدر نفسه ص ٣١٧ .

١٣١ – المسالك والممالك ص ٣٠ .

١٣٢ – المناسك وأماكن طرق الحج ص ٥٣٦، وذكر لغدة الأصفهاني أن من يتجاوز النباج والقريتين دخل أرض نجد، وقال بعضهم : حد نجد من النباج، وهو لبني عبد الله بن عامر بن كريز، وقال آخرون : إذا جاوزت الحفر، حفر أبي موسى الأشعري، وهو حفر بني العنبر، فأنت في نجد . بلاد العرب ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

وقال بعضهم – وهو الأكثر – حد العراق بلاد العرب حفر أبي موسى بطواره إلى منقطع أداني تخوم الموصل، إلى أداني تخوم البحرين . الحربي . المناسك ص ٥٣٤ .

١٣٣ – المناسك وأماكن طرق الحج ص ٦٢٠ – ٦٢٢ .

١٣٤ – الأعلاق النفيسة ص ١٨٢ .

١٣٥ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .

١٣٦ – يسمى كل طريق يكثر الاختلاف أي التردد عليه : محجة، لأن موضع المباني والمرور من الأشياء محجوج، ومنه حججت الشجة أوردتها الميل فقدرتها به وذلك حجها، وسمي الحجاج من الأخدع حجاجاً لإطافته بالعين . الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٣٥ .

١٣٧ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣١١، عن يبرين، أنظر : المسعودي . التنبيه والإشراف ص ٣٩٤ .

١٣٨ – المشاش : موضع تلتقي فيه محجة اليمن ونجد ومحجة العراق والبحرين . حمد الجاسر (محقق) كتاب المناسك للحربي ص ٦٤٥ هامش .

١٣٩ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ص ٣٤٣ .

١٤٠ – بلاد العرب ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

١٤١ – المسالك والممالك ص ٢٥، صورة الأرض ص ٤١ .

١٤٢ – المسالك والممالك ص ٢٧ .

١٤٣ – مختصر كتاب البلدان ص ٣٠ .

١٤٤ – الأصطخري . المسالك والممالك ص ٢٨، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٤٧، وذكر الأخير (ص٤٥) عن الطريق بين البحرين وعمان أنه برية منيعة السلوك .
١٤٥ – التنبيه ولإشراف ص ٣٩٤ .
١٤٦ – المسالك والممالك ص ٢٨ وصورة الأرض ص ٤٧ .
١٤٧ – المسالك والممالك ص ٥٩ – ٦٠ .
١٤٨ – الخراج وصنعة الكتابة ص ١٩٣ .
١٤٩ – صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .
١٥٠ – المسالك والممالك ص ٢٧ – ٢٨، صورة الأرض ص ٤٥ – ٤٦ .
١٥١ – يقول المقدسي : "وقد جعلنا المراحل ستة فراسخ وسبعة" . أحسن التقاسيم ص ١٠٦، والمرحلة في مقاييس الأطوال للمسافات وتساوي (١٨) ميلاً . الإدريسي . نزهة المشتاق (قسم الجزيرة والعراق)، ص ٣١ . وذكر الإدريسي أيضاً أن المرحلة تساوي عشرة فراسخ، إذ يقول : "ومن قودي إلى أحد ثلاث مراحل وهي ثلاثون فرسخاً" . روض الفرج وأنس المهج (قسم الجزيرة والعراق)، ص ٣٦ . ولما كان الفرسخ يساوي (٣) أميال . الحموي. معجم البلدان مجلد ١ ص ٣٦، فهذا يعني أن المرحلة تساوي (٣٠) ميلاً، والميل = ١٥٨٤ متراً، فالمرحلة = ٤٧,٥٢٠ متراً، أي أكثر من (٢٧) كيلومتراً، ونعتقد أن هذا الرقم الأخير كبير جداً ومبالغ فيه كثيراً في عصر الإدريسي (القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، ولا يمكن الاعتماد عليه لأن عصره متأخر قياساً لما ذكره المقدسي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وهو أقرب للقبول .
١٥٢ – المسالك والممالك ص ٦٠ .
١٥٣ – الأصطخري . المسالك والممالك ص ٢٧، ابن حوقل . صورة الأرض ص ٤٦ . وذكر الأصطخري أن المسافة من البصرة إلى البحر مرحلتين . المسالك والممالك ص ٥٦، والمرجح أنه يعني المسافة من البصرة إلى عبادان على البحر، أي الخليج العربي .
١٥٤ – المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١٠٦ .
١٥٥ – المسالك والممالك ص ٢٨، صورة الأرض ص ٤٧ .
١٥٦ – المصدر نفسه ص ٢٨، المصدر نفسه ص ٤٦ .
١٥٧ – المصدر نفسه ص ٢٧، المصدر نفسه ص ٤٥ .
وحدد المسعودي الطريق بين البحرين وعمان مسيرة عشرة أيام رمال ودهاس . التنبيه والإشراف ص ٣٩٤، راجع هامش (١٤٥) .
١٥٨ – المقدسي . أحسن التقاسيم ص ٥٩، الحديثي . البحرين ص ٣٣ .



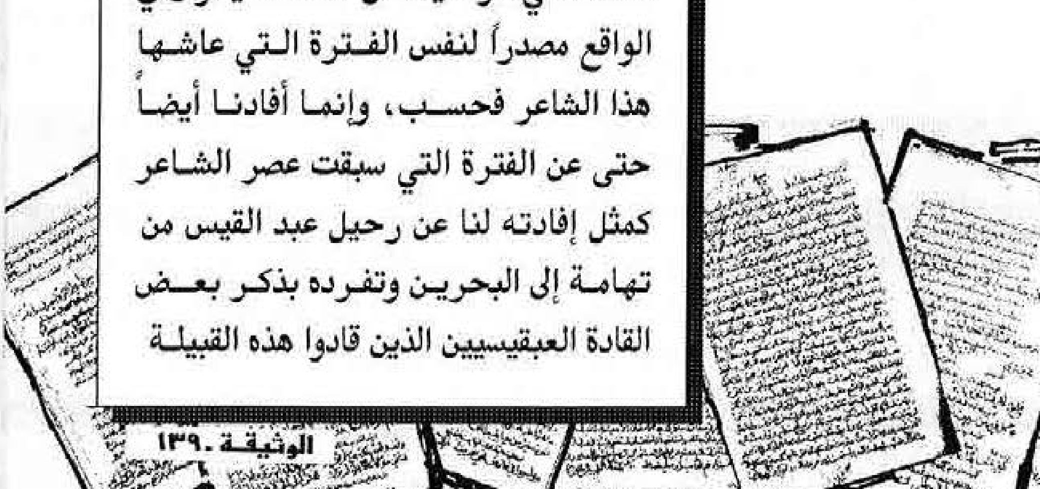


في سبيل إعادة طبع ديوان

...ن المقرب العيوني

...داد :
...لي البيك
...بد الغني عرفات
...بد الخالق الجنبي

أجمع الكثير من المؤرخين للجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية، والذي كان يعرف قديماً باسم البحرين على أن أهم مصدر قديم وصل إلينا عن تاريخ هذا الجزء هو شرح ديوان ابن المقرب الأحسائي، ولا يمثل هذا الديوان في الواقع مصدراً لنفس الفترة التي عاشها هذا الشاعر فحسب، وإنما أفادنا أيضاً حتى عن الفترة التي سبقت عصر الشاعر كمثل إفادته لنا عن رحيل عبد القيس من تهامة إلى البحرين وتفرده بذكر بعض القادة العبقيسيين الذين قادوا هذه القبيلة



إلى المكان الذي عرف فيما بعد باسم هذه القبيلة العربية العريقة، والمعروف قديماً باسم إقليم البحرين .

كما أن فوائد هذا الديوان لا تنحصر في أخبار قبيلة عبد القيس فقط، بل إن فيه فوائد عن قبائل أخرى لا تقل أهمية، كقبيلتي عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والتي عرفت في المنطقة باسم عامر ربيعة، وكذلك قبيلة عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبطونها التي لعبت أدواراً خطيرة في تاريخ هذه المنطقة منذ استيلاء القرامطة - وربما قبل ذلك أيضاً - عليها في القرن الثالث الهجري، وحتى عصور قريبة منا تمثلت في سيطرة بني خالد الذين ينحدر الكثير منهم من قبيلة عقيل بن كعب .

كما ضم هذا الديوان الهام معلومات كثيرة عن بطون عبد القيس التي كانت تقطن هذه المنطقة ومواضع سكانها، وبعض الأحداث التي شهدتها أو ساهمت فيها هذه البطون، مما لا نجده أبداً في غير هذا الديوان وشرحه، والذي لم يقتصر على ذكر أخبار القبائل وبطونها وأحداثها، بل وساهم أيضاً في تعريفنا بالكثير من المواضع التي كانت لها شهرة مدوية في التاريخ الإسلامي والعربي بشكل عام، وبعض هذه المواضع لولا ديوان ابن المقرب لضاعت وانمحى كل أثر لها .

غير أن أهم وأعظم ما سجله لنا هذا الديوان هو تاريخ دولة عربية لولاه لضاعت في غيابة التاريخ، ولما عرفنا عنها أي شيء يذكر إنها الدولة التي عرفت بفضل ديوان ابن المقرب باسم الدولة العُيونية .

إن كل ما ذكرناه وأكثر منه يجعل ديوان هذا الشاعر ليس مجرد ديوان عادي بل يجعله وثيقة هامة، ومرجعاً أهم لا يستغني عنه أي باحث ومؤرخ لهذا الجزء الهام من بلادنا الحبيبة، وهذا ما جعلنا نعيد النظر في إعادة طباعة هذا الديوان الذي نال شهرة كبيرة حتى في عصر الشاعر نفسه والذي كان الشعراء فيه يملأون السهل والجبل كمًّا لا كيفاً، وعلى الرغم من أن هذا الديوان قد لازمته الشهرة أيضاً حتى في عصر المطابع فطبع أربع طبعات أعيد طبع اثنتين منها هما طبعة الدكتور عبد الفتاح الحلو، وطبعة المكتب الإسلامي بدمشق في الوقت الذي اندثرت فيه الطبعتان الأخريان من الأسواق، وهما الطبعة الهندية والطبعة المكية التي تعد - على نقص فيها - أقدم النسخ المطبوعة على

الإطلاق في حين تعتبر الهندية أفضل هذه الطبعات من حيث نشرها كما كانت عليه مخطوطة الديوان، والتي عنها تم نشر طبعة المكتب الإسلامي الأولى بدمشق، أما إذا تحدثنا عن أوفى الطبعات وأجمعها لأكثر شعر ابن المقرب فهي دون شك طبعة الدكتور الحلو، والتي كانت أكثر تحقيقاً حتى الآن .غير أن جميع هذه الطبعات لم تحتو على ما كانت عليه المخطوطة الأصل للديوان المقربي، والتي أخذت عنها جميع نسخ ديوانه المتفرقة في شرق الأرض وغربها، والتي قد تصل إلى الثلاثين نسخة - أنظرها في آخر البحث - .

ولم يكن اهتمامنا منصباً على جمع أكثر عدد من هذه النسخ فهو أمر لا نستطيع إليه سبيلاً، وإنما كان همنا اقتناء الأقدم والأوفى في نفس الوقت، حيث أن كثيراً من نسخ الديوان هي في الواقع نسخ جردها ناسخوها من شروحها، وبالتالي فقدت أهميتها الوثائقية إذ أن ما ورد من أخبار ومعلومات في هذا الديوان كان مجملاً في القصائد، ومفصلاً في الشرح، فكان حذف هذا الشرح مخلاً جداً بهذا الديوان، ومن هنا فقد سعينا إلى اقتناء النسخ التي استوفت الشرح ولم تحذف منه شيئاً إلا ما سقط سهواً من الناسخ .

ولقد كان لدينا إحساس كبير بأنه يوجد لهذا الديوان نسخ أوفى وأفضل من النسخ التي ذكرها الأساتذة الأفاضل الذين درسوا ابن المقرب وشعره والتي أفادتنا دراساتهم كثيراً واختصرت لنا الوقت في معرفة أماكن هذه النسخ، وأوصافها(النسخ) فبدأنا من حيث انتهوا، وبحثنا عما لم يبحثوا عنه، وكان اتجاهنا هذه المرة إلى مكان كنا نعجب منهم كيف أنهم أهملوه، ولم ينتبهوا له على الرغم من أنه مكان ارتبط بمكان الشاعر وتاريخه منذ الأزل، ألا وهو بلاد فارس، إذ أنه من غير المعقول ألا توجد نسخة لهذا الديوان في هذه البلاد التي احتضنت - وبالذات بلدان وقرى الساحل الشرقي للخليج - الكثير من بطون وقبائل الجزيرة العربية الذين حافظوا على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم العربية منذ أقدم دخول لهم لأراضي بلاد فارس وحتى عهدنا هذا، وللحق فإن في بلدان وقرى الساحل الشرقي للخليج، والواقعة في بلاد فارس مكتبات كثيرة جميع تعج بالمخطوطات العربية، وخصوصاً في قرى المحمرة ولنجة وما يقع بينهما من قرى يسكنها العرب المهاجرون إليها من داخل الجزيرة العربية، وبالذات من الساحل الغربي من الخليج داخل الجزيرة العربية، هذا فضلاً عن الكثير من هذه المخطوطات التي أخذت طريقها إلى المكتبات العامة في قم وطهران وغيرهما من بلدان الجمهورية الإسلامية الإيرانية،

إلى المكتبات العامة في قم وطهران وغيرهما مـن بلـدان الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة، وبالفعل فقد أسفر البحث - الذي لم يكن شاملاً - عن نسخ هذا الديوان على عثورنا على ثلاث نسخ مشروحة نادرة لهذا الديوان يرجع نسخ أقدمـها إلى عـام ٧٢٨هـ في حلـب، وناسخها يدعى إبراهيم الحنفي - نسباً ربما - وهذا يعني أنها كتبت بعد قرن واحد فقط من موت الشاعر، وسنرجئ الكلام عن هذه النسخة النادرة، والتي تعد أقـدم مـا نعـرف من نسخ هذا الديوان إلى وقت آخر عند وصولها إلينا إن شـاء الله تعـالى، وكذلـك أيضاً سوف نرجئ البحث عن نسخة مكتبة الشورى في طهران التي لا نعرف عنها شيئاً بعد، وسنقصر حديثنا هنا علـى نسـخة لا تفتقـد إلى الأهميـة، وهـي نسـخة المكتبـة الرضويـة بمدينة مشهد في الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

الوصف العام للمخطوطة

الرقم التسلسلي : ٤٨٣٣

العنوان : شرح ديوان ابن مقرب - عربي

اسم المؤلف : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن مقرب ؟

نوع الخط : نسخي جيد

اسم الناسخ : محمد بن علي بن محمد الحساوي .

تاريخ النسخ : ٣ - ربيع الأول - لعام ٩٦٣هـ .

مكان النسخ ؟ ؟ ؟

صاحب النسخة : إبراهيم بن حسن بن زهير .

عدد الأوراق : ٣١٤ ورقة من القطع الكبير مقاس الورقة : ٣٠ × ٢٠ سم

عدد الأسطر في الورقة الواحدة : ٢٣ سطراً .

بداية المخطوطة : الحمـد لله المتفـرد باسـتحقاق وجـوب الوجـود لذاتـه، المتوحـد بأسمائه الحسنى وصفاته، الأول الذي أنشأ كل عدد معدود، الآخر الذي إليه معاد كـل موجود . . .

نهاية المخطوطة : والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين، فرغ من تسويد بياض ؟ الديوان ديوان الفاضل الكامل التقي النقي ابن مقرب تغمده الله بالرحمة على يد أقل عباد الله الفقير الحقير الراجي من الله أن يغفر له الوزر الكبير محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن علي بن داود النجار الحساوي محتده غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات آمين، وكان ذلك في تاريخ الثالث من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وتسعماية لخزانة المؤدي الفرض والسنن الطايع لربه في السر والعلن آمنه الله في الوطن سبحان ذو - كذا - الفضل والمنن الفقير إبراهيم بن حسن بن زهير أيده الله بعنايته إنه على كل شيء قدير إنه غفور رحيم .

الوصف الخاص

تبدأ النسخة بمقدمة للشارح في خمس صفحات ذكر فيها نسب الشاعر على أنه الأمير الأجل جمال الدين أبو عبد الله علي بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عربر بن ضبار بن عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد العيوني البحراني .

ونلاحظ أن سلسلة النسب هذه هي أطول مما هي عليه في كل الدواوين المطبوعة والكتب التي ترجمت للشاعر وأكثر منها ضبطاً، وتتفق مع سلسلة النسب التي أوردها ابن الشعار الموصلي في كتابه "قلائد الجمان في شعراء الزمان" والذي أخذه مشافهة عن الشاعر، ولكن سلسلة المخطوطة تزيد جدين عما في سلسلة ابن الشعار الموصلي وهما إبراهيم ومحمد الأخيرين في سلسلة المخطوطة ثم ذكر الشارح في باقي المقدمة نبذة عن أحوال الشاعر وما جرى له مع بني عمه حكام عصره من العيونيين بتفصيل أكثر ضبطاً مما هو عليه في طبعة الدكتور الحلو أو طبعة المكتب الإسلامي بدمشق، ولا سيما في ضبط أسماء الحكام الذين عاصرهم ابن المقرب وجرى ما جرى له معهم .

ثم بعد ذلك تبدأ قصائد الديوان الذي رتب على حروف المعجم بالقصيدة الهمزية التي أولها :

كم أرجع الزفرات في أحشائي وإلام في دار الهوان ثوائي

وأما عن طريقة الشرح فهي الطريقة المعهودة من شارحي ذلك العصر وما قبله، وهي تقوم على كتابة أبيات القصيدة بخط متين داكن، وأسفل البيت أو عدة أبيات كتب الشرح بخط أرفع وأقل سمكاً من أبيات القصيدة، وفي الواقع فإن الشرح ليس لكل بيت من شعر ابن المقرب فأحياناً يكون هناك صفحة أو صفحتان لشرح بيت واحد وأحياناً يذكر سطر واحد من الشرح بعد ذكر أكثر من بيت، وأحياناً يصل الأمر إلى إيراد القصيدة كاملة دون أي كلمة شرح اللهم إلا المقدمة .

ويختتم الديوان بالقصيدة اليائية التي أولها :

أبت نُوَب الأيام إلا تمادياً فوا شقوتا ما لليالي وما ليا

ثم بعد نهايتها ذكر نبذة تاريخية في غاية الأهمية عن مُلك القرامطة وتسلسل الأمراء العيونيين الذين حكموا البحرين منذ بداية دولتهم إلى نهايتها التي يذكر نهايتها في سنة ٦٣٦هـ .

وبعد مقارنة هذه الخاتمة مع ما يعرف بالمخطوطة التيمورية التي أوردها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر فيما ذيل به على كتاب تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد لابن عبد القادر اتضح أن ما عرف بالمخطوطة التيمورية ما هو إلا خاتمة شرح ديوان ابن المقرب كما في المخطوطة الرضوية، والتي ذكرها نفس شارح الديوان المعاصر للشاعر، والذي لا نعرف اسمه حتى الآن، وإن كنا عرفنا من هذه المخطوطة معاصرته للشاعر كما سنبين عند ذكرنا بعد قليل لبعض الفوائد التي امتازت بها النسخة الرضوية عن النسخ المطبوعة للديوان، وهانحن قد عرفنا الآن سر النسخة التيمورية، وأنها ليست قطعة من كتاب "زهر الرياض" للحسن بن علي بن شدقم، وحتى لو أن هذه القطعة وردت بالفعل في كتاب زهر الرياض لابن شدقم، فإن هذا لا يعني أنه منشئها، وإنما يبدو أنه اطلع على نسخة قديمة لديوان ابن المقرب وجد فيها هذه الخاتمة فذكرها في كتابه هذا اقتباساً، والجدير بالذكر أنه حتى الفراغات التي هي موجودة في قطعة

المخطوطة التيمورية موجودة بعينها في نفس القطعة الموجودة في ختام المخطوطة الرضوية، ولا حاجة لمزيد من الإثبات فإن القارئ يجد في هذا البحث صورة لهذه الخاتمة، وكذلك المقدمة وبعض الصفحات الهامة .

بعض الفوائد التي انفردت بها المخطوطة الرضوية عن نسخ الديوان المطبوعة

إن هذا العنوان هو بيت القصيد من بحثنا هذا، وهو المسوغ الذي يجيز لنا أن نقوم بإعادة طبع هذا الديوان، وللتدليل على أن النسخ المطبوعة لم تذكر كل ما ورد في أصل ديوان ابن المقرب فقد رأينا أن نورد بعض الفوائد في هذه النسخة لم تذكر في النسخ المطبوعة، أو هي قد ذكرت مشوهة وناقصة وهي كالآتي :

١ - قصائد لم تدون، والشارح يدون شعر ابن المقرب إملاءً عن الشاعر نفسه

حيث ذكرت النسخة الرضوية - على لسان الشارح - وجود قصيدتين لم تدونا في الديوان، وذلك عند تقديمه للقصيدة البائية التي قالها في الأمير محمد بن أبي الحسين العيوني أولها :

منال العلا بالمرهفات القواضب　　　وسمر العوالي والعتاق الشوازب

فقال في مقدمتها : وهي أول شعره بعد قصيدتين كان قالهما، وذهبت عنه - يقصد الشاعر - نسختهما، ولم يكن يحفظهما، وهما في الأمير شكر بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي، أول إحداهما :

حما النوم عن عيني صوت الحمايم　　　وعلمني النوح اذكار المعالم

وأول الأخرى:

جودي بوصلك يا أميمُ وأسعدي　　　وترفقي بأخي الهوى وتأيَّدي

فنحن هنا أمام قصيدتين لم تدونا في شعره، ونعتقد أنهما ليستا الوحيدتين، كما يبين لنا هذا الخبر أن شارح الديوان كان معاصراً لابن المقرب، وعنه أخذ شعره، ودونه



مقدمة المخطوطة الرضوية


اواليه عسكر السلطان المنصور خلد الله دولته والتقوا من ناحية
المغرب والتقوا هم وإياهم وكان الظفر لعسكر المنصور وعسكر
السلطان فقتلوا محمد وملك السلطان الأعظم خلد الله ملكه
في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية ○ والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين
فرغ من تسويد بياض الديوان ديوان الفاضل الكامل التقي النقي
ابن مقرب تغمده الله بالرحمة على يد أقل عباد الله الفقير الحقير
الراجي من الله أن يغفر له الوزر الكبير محمد بن علي بن محمد بن علي
بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن داود
عفى الله عنه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات آمين
وكان ذلك في تاريخ الثلث من شهر ربيع
الاول سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية

خاتمة المخطوطة الرضوية

بل وربما أخذ عنه الكثير من الشروح التي أوردها في الديوان، وقد كنا نعرف أن الشارح معاصر للشاعر، وذلك من القطعة المخطوطة المعروفة باسم المخطوطة التيمورية، والتي نعرف الآن أنها ليست سوى خاتمة أوردها الشارح في نهاية شرحه للديوان المقربي، وها نحن الآن نعرف أن الشارح الذي لا نعرف اسمه لم يكن معاصراً للشاعر فحسب، بل وملازماً له أيضاً .

٢ - ناسخ الرضوية يكتبها عن أكثر من نسخة

إذ ذكر عند إيراده لهذا البيت في مدح الخليفة الناصر العباسي :

ترى زمـر الأملاك وسـط بيوتهم　　　تحييـهمُ طـوراً وطـوراً تصـافح

فدون بإزائه في الهامش الأيسر من المخطوطة هذه الجملة : وفي نسخة أخرى (حيناً وحيناً تصافح)، كما أنه يذكر دائماً القراءة الأخـرى لبعض الكلمات أو القوافي كما في نسخة أخرى لديه مشيراً إلى ذلك عادة في هامش الصفحة الأيسر بعد البيت مباشرة أو فوق الكلمة المقصودة .

٣ - قصر القرمطي هو دار إمارة الأحساء

حيث قال في شرح قول الشاعر :

وإن تأت قصـر القرمطي تجد بـه　　　جماجـم قومي والقـروم المصـاعبا

فقال في الشرح : قصر القرمطـي دار إمـارة الأحسـاء مـن البحريـن، ينزلهـا ملكـها وجماجم الناس وعظماؤهم، وعليه نعرف أن القصر المعروف في البطالية الآن باسم قصر القرمطي أو قريمط بالتصغير هو دار الإمارة الذي ظل محتفظاً بمكانه حتى بعد استلام العيونيين للحكـم، وهـذا الخـبر انفردت بـه النسخة الرضويـة، ولم يذكـر في النسخ المطبوعة .

٤ - قلعة القطيف دار إمارة الحكم العيوني فيها

ففي القصيدة التي أولها :

دع الكاعب الحسناء تهـوى ركابها　　　وتبني لها في حيث شاءت قبابهـا

والتي لم تذكرها الطبعات المكية والهندية والدمشقية، وذكرها الدكتور الحلو في طبعته عن نسخة غير مشروحة فجاءت خالية من فوائد جمة احتفظت لنا بها النسخة الرضوية، وكان منها أن ما يعرف الآن باسم قلعة القطيف كان هو المكان الذي اتخذه العيونيون داراً لإمارتهم، ففي شرح قول الشاعر :

أقم صدرها قصداً إلى الخط واحتقب رسالة ودٍّ أنت عندي كتابها

فحين ترى الحصن المعلاً مقابلاً ويبدو من الدرب الشمالي بابها

فقال في الشرح : الحصن يعني سور البلد، والمعلاّ، المطول . والدرب الطريق الأعظم، وجعله من الدرب الشمالي لأنه أقرب إلى دار الإمارة، وإلى مجالس الصدور .

قلت ولازال (باب الشمال) معروفاً إلى أيامنا هذه، وكان في السابق يعنون به الجهة التي تقع فيها البوابة الشمالية للقلعة، وقد أصبح الموضع اليوم محلة من محلات القطيف مسكونة، وتسمى بنفس الاسم (باب الشمال)، وهو ولاشك المقصود بقول الشاعر (يبدو من الدرب الشمالي بابها) لأنه لا نعرف حصناً مسوراً في القطيف بعد خراب عاصمتها القديمة الزارة غير قلعة القطيف، كما شاهدناه نحن قبل أن يتهدم في الوقت الحالي .

٥ - الديسميون من بطون عبد القيس

قال في شرح أحد أبيات القصيدة المذكورة أعلاه وهو قوله :

وكل همام ديسميٍّ إذا سطا إلى الخيل يوماً قيل وافى عذابُها

ديسمي منسوب إلى ديسم بن الضماد، أحد بني عامر [ابن الحارث]، وكان لهم عدد فانقرضوا إلا عدةٌ يسيرة . انتهى

وعندما ذكر الدكتور الحلو هذا البيت تكلف في شرحه لغوياً فذهب إلى أن مراد الشاعر هو النسبة إلى الديسم، وهو ولد الثعلب من الكلبة، أو ولد الذئب منها، أو فرخ النحل، أو الظلمة أو السواد، أو الثعلب . وكل هذا لا داعي له، فقد كشفت لنا النسخة الرضوية المراد من ذلك، ولم تكتف بذلك هنا، فقد ذكرت ما فيه زيادة إيضاح في شرح الميمية المشهورة عند قوله :

منا الذي جعل الإقطـاع من كـرم إرثـاً توزعـه الـورّاث مقتسَـماً

وجـاد في بعض يوم وهـو مرتفقٌ بأربعـين جـواداً تعلك اللجمـا

يعني الأمير أبا علي الحسن بن عبد الله بن علي، وذلك أن قوماً من عبد القيس يعرفون بالدياسمة خرجوا من الأحساء حين ملكها أبا - كذا - المنصور خوفاً منه، وكانوا في ذلك الوقت سبعين فارساً، فقصدوا الأمير أبا علي بالقطيف فحين بلغوا إلى باب القصر أمر بإصعادهم إليه فأُصعِدوا إليه، وأشغلهم عنده بالحديث، وقد تقدم إلى وزرائه حين بلغه علم وصولهم قبل أن يصعدوا إليـه أن يُخلوا لهم دوراً، وأن يتقدموا إلى أصحاب الخزائن بأن يحملوا إلى تلك الدور من الحنطة والشعير والأرز والتمر . . . وأمر لكل واحد منهم ما يقوم به أوده، ومن البساتين والأراضي، كتباً تحكم الهبة بتوارثه خلف عن سلف . . . الخ .

والجدير بالذكر أن الطبعة الهندية، وعنها أخذت الطبعة الدمشقية وطبعة الدكتور الحلو قد ذكرَتهم في هذا الموضع باسم الرياشمة، وليس الدياسمة، والذي هو الأصح، ولازال في قرية القديح من القطيف موضع نخل يقع في شمالها به عين ماء قديمة نباعة تعرف بالديسمية، ولاشك لدي أنها منسوبة إلى بني الديسم بن الضماد هؤلاء .

٦ - العيونيون من بني عيذ بن مُرَّة

ففي نفس القصيدة ذكر البيت التالي :

ومن نسل "عَيْذٍ" فتية أي فتيـةٍ يجل المعـادي بأسها فيهابهـا

فقال في الشرح : يعني بني عيذ بن مرة بن عامر، وفي مرة البيت من بني عامر، وفي عيذ العدد من بني مرة .

ونحن نعلم أن العيونيين من بني مرة بن عامر، ولكننا لم نكن نعلم من أي بطون مرة هم، وهاهي النسخة الرضوية تخبرنا بذلك، إذ ذكر الكلبي في جمهرة النسب بطنين فقط لبني مرة بن عامر بن الحارث العبقيسيين، وهما بنو الصيق بن مالك بن مرّة، وبنو عايذة بن مرّة، وعليه فإن النسخة الرضوية لم تكتف بذكر البطن المري الذي ينتسب إليه العيونيون فحسب، بل وصححت لنا اسم هذا البطن على أنه "عَيْذ" وليس "عايذة" كما

يجدر بنا أن نذكر أن بني عيذ بن مرّة هؤلاء قد ذكرهم الشاعر القطيفي الحسين بن ثابت العبدي في قصيدته التي قالها يستعطف بطون عبد القيس للتوسط له لإخراجه من سجن الأمير العيوني القوي أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي حاكم القطيف، حيث قال في أولها الذي بدأت به القصيدة :

قف بالعشيرة من "عَيْذٍ" و "صيْق" وعُذ بدارها واستغث أسداً بها نجبا

وقد ذكر هذه القصيدة العماد الأصفهاني في خريدة القصر، ونقل هذه الترجمة الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في أحد أعداد مجلة العرب، ولكن النسخة الوحيدة التي نقل عنها أستاذنا الجاسر، وكذلك الأستاذ محمد بهجت الأثري محقق الخريدة ورد فيها اسم "عَيْذ" محرفاً إلى "عَبْد"، و "صيْق" إلى "صِتْق"، وبالتالي فقد أولها الأثري على أن المقصود بـ "عبْد" قبيلة عبد القيس، وكتب كلمة "صِيْق" على أنها "صِفْ" أي فعل الأمر من الوصف، ولم يلتفت إلى أنهما محرفتين من الناسخ عن كلمة "عيذ" و "صيق" وأن "عيذ" هو البطن الذي ينتمي إليه الأمير العيوني أبو سنان الذي سجن الشاعر، فكان من الطبيعي أن يتوجه الشاعر القطيفي أول ما يتوجه لمخاطبة البطن الذي ينتمي إليه الأمير، والذي قرنه ببطن آخر هو الصّيْق بن مالك بن مرّة، وهما البطنان الوحيدان اللذان ذكرهما الكلبي من بطون بني مرة بن عامر بن الحارث في جمهرته عن النسب .

٧ - ابن معروف زعيم المنتفق

وفي شرح قوله :

سَل الخائن الجد ابن معروف هل رأى بها خَوَرٌ والحرب يهفو عُقابُها

أتى من بلاد السِّيْب يزجي كتائباً تضيق بها من كل أرض رحابُها

ابن معروف، يعني المعلى بن علي بن معروف المنتفقي، وبلاد السيب من أرض العراق، والسيب في كلام العرب مجرى الماء .

٨ - غزية والمنتفق

قال في شرح الأبيات :

وهل منعت منه غزية دارها بأسمر عسال وأبيض قاضبِ
غداة أتاهم في سماء عجاجةٍ أسِنَّتُه من تحتها كالكواكب
وقد جاءهم منه النذيرُ ليأخذوا من البرِّ عن جوز الطريق بجانب

غزية قبيلة من العرب . . . والمعنى أنه كان حين تجهز للغزو أرسل إلى غزية أن يأخذوا عن ناحية من الأرض فإنه لا يريد غير المنتفق، وكانوا حينئذ جميعاً، وصاحب أمر غزية يومئذ دهمش بن سند بن أجود، وصاحب المنتفق ناصر بن مذكور المنتفقي، فلم ترحل غزية عن المنتفق وحالفوهم أنهم يدٌ واحدة، فصبحهم وهم جميعاً فاجترف الأموال، وقتل من القوم قتلى كثيرة، وأكثر القتل والنهب في غزية، وأما المنتفق فانهزموا حين رأت العينُ العينَ وأبصروا ما هالهم .

٩ - قبيلة ناعب وجبلها

قال في شرح قوله :

حمى البرَّ من حد العراق فحازه إلى الشام واستولى على حدِّ ناعبِ

ناعب قبيلة بعمان، تسكن جبلاً يعرف بجبل النعب . انتهى

١٠ - ثاج تقع في الجابرية

قال في شرح قوله :

ولم ترع من ثاج إلى الرمل مصرم على عهده إلا استبيحت حلائبه

ثاج أرض بالجابرية، والرمل رمل خارجة بطريق عمان، والجدير بالذكر أن الطبعة الدمشقية فيها : ثاج أرض جارية، أي صلبة، وهو غريب فكيف تكون جارية وصلبة في نفس الوقت، والصحيح ما ذكرته النسخة الرضوية هنا، وهو أن ثاج أرض بالجابرية التي ذكر الأستاذ الجاسر في معجمه عن المنطقة أنها قريبة من ثاج استنتاجاً من قرائن ذكرتها الطبعة الهندية، ولكن في نسختنا هذه يتضح أن الجابرية أرض واسعة جداً تضم من ضمن ما تضمُّ من قرى قرية ثاج الأثرية .

١١ - عين الجوهرية وتحديد موقع مدينة الأحساء

ففي شرح قوله :

ومن ماء نهر الجوهرية لو صفا ذُبابة حسيٍ لا يرجى نبوعهـا

قال : " ***الجوهرية عين جارية لها نهر عظيم في وسط مدينة الأحساء نسب إلى الرجل الذي كان هندسها كان يقال له جوهر*** " . انتهى

ويلاحظ هنا أن هذا النص أوفى ما ذكر عن عين الجوهرية ، والذي بُتِر في كل الطبعات التي خرجت للديوان المقربي ، فقد جاء في الطبعة الهندية ، وعنه نقلت الطبعة الدمشقية : الجوهرية عين جارية في وسط مدينة الأحساء . فقط، ولم يذكر بقية ما ذكرته النسخة الرضوية هنا ، وهو في غاية الأهمية ليس عن عين الجوهرية فقط، وإنما في نهر هذه العين الذي هندسه ، وهندس ما حول العين - وليس العين بطبيعة الحال - المهندس القديم المدعو بجوهر، ولعل أهم ما يحمله لنا هذا النص من معرفة هو أن عين الجوهرية لم تكن في وسط مدينة الأحساء كما قررته لنا النسخ التي طبعت من الديوان، والطبعة الهندية منها بالذات ، وإنما النهر الذي يخرج من عين الجوهرية هو الذي يخترق وسط مدينة الأحساء كما هو هنا في هذه النسخة ، وهو الصحيح والذي نراه الآن من أن الجوهرية تبعد عن قصر القرمطي - قريمط - بمسافة مائتي ميل تقريباً ، فإذا عرفنا أن قصر القرمطي هو وسط مدينة الأحساء القديمة فإن عين الجوهرية ليست واقعة في وسطها ، وإنما نهرها العظيم كان يخترق وسط مدينة الأحساء كما هو واضح في النص هنا ، وكما هي الحال عليه في جميع مدن البحرين القديمة كالزارة، وهجر اللتين كانتا بنفس الوصف .

١٢ - الأتلاد بطون من الأزد وعبد القيس

قال في شرح قوله عن قيس بن زهير العبسي وسكنه عمان وتناسل ذريته فيها :

وحل على الأتــلاد غير مجاور ولكن عضاً لا ينام على تبــل

الأتلاد بطون من الأزد ومن عبد القيس، سمُّوا بالأتلاد لأنهم سكنوها قديماً . انتهى

ويلاحظ أن الطبعة الهندية ذكرتهم بالأتلال باللام، وقد ذكرهم الحلو الأتلاد كما هو هنا لكنه بتر النص فقال : والأتلاد بطون من عبد القيس . وكلاهما لم يذكر سبب التسمية، والجدير بالذكر أن البكري في معجم ما استعجم ذكر في تفرق قبائل عبد القيس من تهامة الأتلاد هؤلاء، ولكنه أيضاً لم يذكر سبب تسميتهم بهذا الاسم وذكرته المخطوطة الرضوية، وشارحها الذي ينتمي إلى عبد القيس .

١٣ - رئاب الشني نبي عبد القيس في الفترة

قال في شرح قول ابن المقرب من قصيدة لامية يقول فيها :

فإن ساءني قومي الكرام وضيعوا حقوقي وهادي المجد فيهم وكاهلُه

فقبلي أخو شن بن أفصى أضاعه بنو عمه دون الورى وفصائله

وعلق الشارح بقوله : الفصائل جمع فصيلة، والفصيلة القبيلة، وفصيلة الرجل : رهطه الأدنون . وأخو شن رياب بن البراء رضي الله عنه، وقد قيل أنه كان حجة على أهل عصره، وذكروا أن ابنته جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال لأصحابه هذه بنت نبي ضيَّعه قومه، وقيل والله أعلم أن تضييعهم إياه أنه كان قال لهم احفروا لي حفيرة، وادفنوني فيها واذهبوا عني بعيداً فإذا رأيتم الوحوش قد اجتمعت على تلك الحفيرة فاتركوها حتى تذهب، فإذا ذهبت، فأتوا الحفيرة وابحثوا عني واسألوا عما كان، وما يكون إلى يوم القيامة ففعلوا، وبحثوا له حفرة ودفنوه فيها وانتزحوا عنها فجاءت الوحوش، وأقامت على الحفيرة ساعة وانصرفت، فقال بعضهم : اذهبوا بنا لنبحث عنه ونستخرجه، فقال بعضهم ما لنا في بحث عنه حاجة، فغلب الذين يريدون تركه في الحفرة على الأمر، فتركوه فمات مكانه .

وقال عليه السلام : يحشر رئاب الشني أمة واحدة . انتهى نصاً

١٤ - أمهات ابن المقرب وخالاته

حيث قال في شرح قوله :

لأن علياً جـــده عمـــي الـــذي　　　　يطـول بـه بيتي على من يطـــاول

وضــبار جــدي عمـــه وكلاهمـــا　　　　خليصـــان والعـم المهذبُ ناحـــلُ

ويجمعنا في الأمهات ابن يوسفٍ　　　　علي، ونعمان الأغـر الحُلاحُـلُ

قوله علياً جده عمي، وضبار جدي عمه لأن علي بن عبد الله والـد الأمـير - يعـني الممدوح - وضبار أخوان، وهما ابنا عبد الله بن علي بن عبد الله - كذا - بـن محمـد بـن إبراهيم بي محمد، وقوله في القرابات من النساء فـإن [أم] الأمـير أبـا سـنان - كـذا - رحمه الله وأم أبي مقرب الحسن بن عزيز، وأخيه أبي يوسف أختان، وأيضاً أم يوسف كلهن أخوات، بنات نعمان بن علي أخي عبد الله بن علي، وأم أبـي سـنان رحمـه الله كان اسمها زينب، وأم أبي مقرب وأبي يوسف اسمها مريم، وكانت أكبر بنات نعمان. وأم أم يوسف جميلة بنت نعمان، وأيضاً فإن الأمير أبا ماجد محمد بـن علـي أمـه ابنـة منصور بن نعمان، فتكون بنت خال أبي مقرب وأبو - كذا، والصحيـح أبـي - يوسـف. فأبو سنان وأبو ماجد جد هذا الممدوح، وأبو مقرب وأبو يوسف جدا هذا الـمادح، وأيضاً فإن أم [كلثوم بنت أبي سنان] من بنات أبي يوسف، وكلثوم هـذه جـدة هـذا الممدوح لأمه،وهي وجدة هذا المادح أختان من بنات أبي يوسف . انتهى، وقد وضعت الأقـواس فقط للتوضيح على أن أم كلثوم في المخطوطة لا يراد به الاسم المركب الشهير، وإنمـا أراد أن يقول : إن والدة الأميرة كلثوم بنت أبي سنان هي من بنات أبي يوسف، وعلى أيـة حال فهذا نص نادر في أمهات بعض الأمراء العيونيين لا يوجد في النسخ المطبوعة .

وبه أختم ما أردت ذكره من فوائد، ذكرتـها لا علـى الـترتيب، وإنمـا علـى سـبيل التوضيح، وأما القصيدة الميمية الشهيرة التي أولها :

قم فاشدد العيس للترحال معتزما

فإن الفوائد التي ذكرتها النسخة الرضوية في شرحها أكثر بكثير مما ذكرتـه جميـع النسخ المخطوطة لهذا الديوان الهام، وأوفى منها وأدق، ناهيك عن فوائد كثيرة أخرى لم نذكرها، ومنها الخاتمة من وضع الشارح، والتي ذكر فيها أحـوال حكـام البحريـن مـن القرامطة والعيونيين والتي اكتفينا بارفاق صورة منها مـع هـذه الكلمـة، وغـير ذلـك مما نرجئ البحث فيه إلى وقت إعادة الطبع إن شاء الله تعالى .



فكم ناصح قد عد في الناس خائنا وكم غادر قد عد في الناس

اول ملوك القرامطة

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء بعض من ملك البحرين من القرامطة والعيونيين كما جاء في المخطوطة الرضوية

لخزاينهم القرامطة من الاحسا سنة خمسة ثم ملك الفضل بن عبد الله بن علي اوال و
القطيف في زمان ابيه وكان مدة ملكه سبع سنين وقتل في تاروت قتله احد اعمامه ثم
ملك الامير عبد الله بن علي بعد ابنه الفضل بن ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله وملك
القطيف واوال ثمانية عشر سنة وزيادة ثم قتلها ابو المنصور وابو علي وهما عماه ثم ملك
ابو علي الحسن بن علي وبقي في القطيف واوال مدة احدى عشر سنة وتوفي في ولي الامر
ثم ملك بعده عزيز بن منصور الملقب بالتراكي ومدة ملكه سبع سنين وكان يحيى باكبرا
ملكه فيسي الى اوال في ليلة ثلاث عشر جمادي الاولى سنة تسع واربعين وخمسمائة ومنها
وخرج منها بعد ان بقي في ولايته ثم قتله ابن عمه محمد بن ابي محمد عبد الله وكان مدة
ملكه سنة واحدة ثم توفي ثم ملك شكر بن ابي علي الحسن بن عبد الله بن علي وكان
مدة ملكه ثمانية عشر سنة وكان في زمانه يجي عساكر باكبرا الى اوال مرارا كثيرة
وتوفي ثم ملك بعده اخوه علي بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الحسن هذا الذي اوال
من باكبرا اخر بعد مدة قليلة يجيء باكبرا بعساكره واخذ من ناحية ستين فالقياه
عسكر علي بن الحسن وكان امير العسكر اخو الامير وقطع الجيش بعسكر باكبرا فقتل منهم
خلق كثير واسر ... الملك واسمه مبارك وكان ... وهذا امير العسكر ثم
بعد ذلك عبر الزير الى القطيف وبعد مدة جا الامير واخو الزير الى اوال ... والمجد
المعروف بسيسيين ... الذي ... الامير علي بن الحسن ثم بعد ملك الزير
بن الحسن بن عبد الله بن علي وكان مدة ملكه سنتين واشهر ثم دخل محمد بن احمد بن محمد بن
الفضل في اوال ... وكان ... ثم
ملك بعده محمد بن احمد بن محمد بن الفضل دون سنة وخرج ... ثم ان اهل القطيف
ملكوا عليهم رجلا وهو النقيب العلوي فملك مقدار اربعين يوما وبعد ذلك استقاموا
وملكوا عليهم بعده رجلا يقال له ... وهو من بيت عبد الله ... مدة شهرين
ثم ملك حسن بن شكر بن ابي علي ... مدة ثلاث سنين وزيادة ثم قتله شكر
ابن منصور بن ابي المنصور ... وملك القطيف مدة سبع سنين ...

معلومات عامة عن مخطوطات ومطبوعات

ديوان ابن المقرب الأحسائي في مكتبات العالم

وكذلك ذكر المجاميع الشعرية التي احتوت على شعرٍ له

أولاً: مخطوطات الديوان

١ - ديوان ابن المقرب، العراق

وهي أربع نسخ في المتحف العراقي ببغداد، تحت الأرقام التالية :

١٩٠٤ وهي نسخة كتبها ناصر بن عبد الله السماوي سنة ١١٣١هـ وتملكها عبد الله بن علوي المحجب والمهدي بن عباس ابن أمير المؤمنين .

٦٩ صفحة ٢٩ × ٢٠ سم ١٦ سطراً

٦٢٢٣ نسخة كتبها بخط النسخ محمد المصري السنديوني الأزهري سنة ١١٦٩ هـ .

٢٨٧ صفحة ٢١ × ١٥ سم ١٧ سطراً

٢٠٩٥٠ وهي نسخة كتبت سنة ١١٨٣هـ .

١٥٤ صفحة ٢١ × ١٥ سم ١٥ سطراً

٨٩٨٩ وهي نسخة كتبت سنة ١٢٧٧هـ .

٢٧٦ صفحة ٢٠ × ١٤ سم ١٥ سطراً .

المصدر : كتاب مخطوطات الأدب في المتحف العراقي لأسامة النقشبندي، وظمياء عباس، الصفحة ١٨٨ - ١٨٩ .

٢ - ديوان ابن المقرب، ألمانيا

نسختا برلين تحت الرقم (٧٧١٠ - ٧٧١١)
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ . (راجع وصفه في مصورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عن نسخة برلين) .

٣ - ديوان ابن المقرب، بريطانيا

نسختا المتحف البريطاني تحت الرقم ٦٠٧ وثان تحت الرقم ١٠٦٦
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ . (أنظر مصورة عنه في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

٤ - ديوان ابن المقرب، أسبانيا

نسخة متحف مدريد تحت رقم ٢١٥
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

٥ - ديوان ابن المقرب، جاريت

نسخة جاريت تحت الرقم (٤٤ - ٤٥) .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

٦ - ديوان ابن المقرب، بريل

نسخة بريل ثان تحت الرقم (ثان ٥، و ٢٨ - ٢٩، وأول ٦٦٥)، وأيضاً تحت الرقم ٦٦٥ .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

٧ - ديوان ابن المقرب ، الإمبروزيانا

نسخة الإمبروزيانا تحت الرقم NF 441 iii, c, 185 (RSO VIII 292)
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

٨ - ديوان ابن المقرب، ألمانيا

نسخة ميونيخ تحت الرقم ثان ١٤٦ .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

٩ - ديوان ابن المقرب، الفاتيكان

نسخة الفاتيكان تحت الرقم ثالث ١١٥٠، ٦ .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

١٠ - ديوان ابن المقرب، بطرسبرج

نسخة بطرسبرج تحت الرقم ثان ٤٣٢ .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

١١ - ديوان ابن المقرب

نسخة فيض الله ١٥٩٥ (ZDMG 68, 380) .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

١٢ - ديوان ابن المقرب

نسخة الأصفية تحت رقم ٦١٥، كما في فهرسها ٣ : ٢٨٠، وكذلك تحت الرقم ١٩ كما في ١ : ٦٩٨ .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١ .

١٣ - ديوان ابن المقرب، مصر

نسخ القاهرة وهي التي رجع إليها عبد الفتاح الحلو في طبعته لديوان ابن المقرب، ولا داعي لإعادتها فهي في مقدمة طبعته،وكذلك ما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي .
المصدر : تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان الجزء الخامس الصفحة ٦١، وكذلك مقدمة ديوان ابن المقرب طبعة محمد الحلو .

١٤ - ديوان ابن المقرب، العراق

نسخة المكتبة العباسية في البصرة .

الرقم ح - ١٣ .

٨٤ صفحة ٣٣ ×٢٣ سم ١٦ سطراً ١٢٨٠ بيتاً .

فهرس مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة .

١٥ - ديوان ابن المقرب، العراق

نسخة موجودة في مكتبة الموصل كما في فهرسها ٤١، ١٣٤، ١٥١ .

وكأنما يبدو من ذلك أنه يوجد ثلاث نسخ لهذا الديوان ولكن المصدر لم يذكر ذلك بالتفصيل، ولعلها التي ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي تحت الرقم ٤١ و ٤ .

المصدر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة المجلد التاسع ، الجزء الثالث، الصفحة ٦٩٨ .

١٦ - شرح ديوان ابن المقرب، جمهورية إيران الإسلامية

وهي أقدم نسخة وصلتنا حتى الآن، وتعتبر نسخة نفيسة جداً، وتوجد في المكتبة الرضوية [مخطوطات كتابخانة مركزي أستان قدس رضوي] ، وسنة النسخ ٧٢٨هـ في حلب وناسخها هو إبراهيم الحنفي - لعله من بني حنيفة - .

الرقم : ١٣٩٠٩

المصدر فهرس مخطوطات المكتبة الرضوية [مخطوطات كتابخانة مركزي أستان قدس رضوي] .

١٧ - شرح ديوان ابن المقرب، السعودية

وهي ما سنسميها المخطوطة الماجدية ، نسبة إلى الأستاذ الشيخ محمد صادق بن الشيخ ماجد الكردي مدير البعثات العلمية السعودية في الإسكندرية ، وهي نسخة كتبها ناصر بن حمد بن لاحق سنة ١١٩٤هـ لشيخه صالح العتيقي - من علماء المجمعة في نجد - ، وهي التي أفاد منها الشيخ حمد الجاسر - وعنه استفدنا - عدة فوائد استدرك بها على كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد لابن عبد القادر، ولقد كانت الفوائد التي استدرك بها الشيخ الجاسر غاية في الدقة والأهمية بحيث أن معظمها لم يرد في

الطبعة الهندية التي تعد أوفى النسخ المطبوعة حتى الآن، وقد أفادني الشيخ الجاسر في بيته في حي الورود في الرياض بأن الشيخ الكردي قد توفى، وأن النسخة التي صورها عن مخطوطته الفريدة قد احترقت في جملة ما احترق من كتبه في بيته ببيروت، وأن الأستاذ أحمد المانع هو الذي قد تولى مكان الشيخ الكردي في إدارة البعثات العلمية السعودية في الإسكندرية، وقد طلب مني الشيخ الجاسر أن أكتب له كتاباً وأنه هو الذي سيتكفل بإرساله إلى الأستاذ أحمد المانع، وقد أخبرني في رسالة جوابية موجودة لديّ أنه قد فعل ذلك، وأن الأستاذ المانع قد يبعث لي الجواب، غير أنه حتى هذا التاريخ من شهر ربيع الثاني ١٤١٨هـ لم يردني منه أي جواب، ونتمنى أن يصلنا سريعاً لدقة هذه النسخة وأهميتها .

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد لمحمد بن عبد القادر، الطبعة الثانية . الصفحة ٢٥٦ .

١٨ - شرح ديوان ابن المقرب، العراق

المتحف العراقي

الشارح مجهول

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ، ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري، ناقصة الطرفين .

الرقم : ١٤١٥٧

١٧٦ صفحة ٢٣,٥ × ١٨,٥ سم ١٧ سطراً

المصدر : كتاب مخطوطات الأدب في المتحف العراقي لأسامة النقشبندي، وظمياء عباس، ٣٥٨ .

١٩ - شرح ديوان ابن المقرب، جمهورية إيران الإسلامية

وهي من أهم النسخ على الإطلاق، والشارح هو محمد بن علي النجار الأحسائي، وقد ذكره الشيخ أغا بزرك في الذريعة إلى تصانيف الشيعة باسم محمد بن علي الحساوي، في حين أن القائمين على مخطوطات المكتبة الرضوية أو [مخطوطات كتابخانة مركزي أستان قدس رضوي] ذكروه باسم محمد نجار الأحسائي، وهو نفس الشارح .

هذه النسخة بخط محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن علي بن داود النجار الحساوي كتبها لخزانة إبراهيم بن حسن بن زهير، وسنة النسخ ٩٦٣هـ، وعدد الأوراق ٣١٤ صفحة من القطع الكبير، ولدينا صورة منها .

الرقم : ٤٨٣٣

المصدر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة المجلد التاسع ، الجزء الثالث، الصفحة ٧٤٧، وفهرس [مخطوطات كتابخانة مركزي أستان قدس رضوي] .

٢٠ - ديوان ابن المقرب، عمان

نسخ يحيى بن حسن بن أحمد بن يحيى بن إبراهيم عام ١١٨٩هـ .

٥٢ صفحة ١٨ سطراً ٢٢ × ١٦ سم

أولـــه :

كم أرجع الزفرات في أحشائي وإلامَ في دار الهـوان ثـوائي

آخــره :

إذا جرى عند أهل السبق في طلق من البلاغـة جلى عن مجليهـا

بالهامش تعليقات واستدراكات، ضمن مجموع يسبقه صفحة بها ترجمة الشاعر، ويليه قصيدة لنفس المؤلف في ثلاث صفحات .

رقمه ٢٨٤١

المصدر : فهرس المخطوطات، سلطنة عمان إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، الجزء الثاني الصفحة ١٨٧ .

٢١ - ديوان ابن المقرب عمان

نسخ حسين بن أحمد بن بكري عام ١٢٨٢هـ .

٦٦ صفحة ١٧ سطراً ٢٩ × ١٩ سم

أولـــه :

كم أرجع الزفرات في أحشـائي وإلامَ فـي دار الهـوان ثـــوائي

آخــره :

إذا جرى عند أهل السبق في طلق من البلاغـة جلى عن مجليهـا

عليه تمليك باسم السيد محمد بن أحمد بن سيف البوسعيدي، ضمن مجموع يليه إضافة في ثلاث صفحات تحوي قصيدة لنفس المؤلف .
رقمه ١٣٦٤
المصدر : فهرس المخطوطات، سلطنة عمان إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، الجزء الثاني الصفحة ١٨٨ .

٢٢ - ديوان ابن المقرب، جمهورية إيران الإسلامية

نسخة مكتبة الشورى في الجمهورية الإسلامية الإيرانية .

٢٣ - ديوان ابن المقرب، سوريا

النسخة الظاهرية، (أنظر مصورة عنها في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

٢٤ - ديوان ابن المقرب، العراق

مخطوطة خزائن حسن باشا الجليلي بمكتبة الأوقاف العامة في الموصل .
عنوانه ديوان لسان العرب وحجة أهل الأدب، جمال الدين بن علي بن عبد الله بن المقرب المتوفى سنة ٦٥١هـ .
أولـه : (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين . . . .)
قال مفتخراً في غرض له :

إلى كم معاناة الهموم الغوارب — وحتى مَ تأميل الظنون الكواذب

بخط النسخ، وعناوين القصائد بالحمرة، وجاء في صدر المخطوط، ديوان العبدلي، وجلده منقوش .
سنة النسخ ١١٨٦هـ .
قطع ٢١ × ١٣،٥ - ١٢ ورقة الرقم ١٤/١٠
المصدر : فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ج ١ الصفحة ١٢١ خزائن حسن باشا الجليلي، طبع جامعة الموصل .

٢٥ - ديوان ابن المقرب، السعودية

لأبي عبد الله علي بن منصور بن المقرب البحراني .

أولـــه : الحمد لله شكراً لنعمائه . . . قال الأمير أبو عبد الله علي بن المقرب . . . يمدح الناصر لدين الله . . . :

إمـارة سر الحب مـا لا تكتـمُ وأبيـن شـيء مـا يجـن المتيمُ

وآخـــره : وبستان أبي زيد لي فـلا يكون عليه تعرض بل يصونـهم من كل تعرض وحيف، تمت هذه النسخة .

وهي نسخة كتبت بخط تعليق سنة ١١٠١هـ . وبها آثار قطع وأرضة في الصفحة الأخيرة، والناسخ : شرف الدين بن جلال الدين الحسيني .

٣٣٥ ل ١٥ سطراً رقم الحفظ ٧٠٧١

مصورة عن براين - ألمانيا .

المصدر فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ١٩٣ .

٢٦ - ديوان ابن المقرب، السعودية

أولـــه : (الحمد لله رب العالمين . . . أما بعد، فهذا ديوان لسان العرب، وحجة أهل الأدب الأمير جمال الدين أبي منصور علي بن عبد الله بن المقرب الشاعر . . . قال مفتخراً في غرض له :

إلى كم معاناة الهموم الغـوارب وحتامَ تأميل الظنون الكواذبِ

وآخـــره :

إن أبـرزت فللقلـوب هـزة منها وأثر البيض في اهتزازها

واستعرض العقود من نظممها واستنشـر القزوز من قزازها

تم وكمل بعون الله وتوفيقه . . .)

نسخة بخط نسخي متقن سنة ١٣١٧هـ .

١١٥ ل ١٩ سطراً رقم الحفظ : ٨٠٦٦
المصدر : فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ١٩٤ .

٢٧ - ديوان ابن المقرب، السعودية

أولها متفق مع سابقتها (أنظر الرقم هنا) .
وآخرها قولـه :

وما عددت عشيراً من مناقبنا　　　ومن يعد ثرى يبرين مرتكماً

وبعدها : هذا ما وقفنا عليه من ديوان الأمير جمال الدين أبي منصور علي بن عبد الله ابن المقرب . . .
نسخة كتبت بخط نسخي متقن، ومشكَّل سنة ١١٨٥هـ . وورقة العنوان مزخرفة .
١٢٦ ل ١٧ سطراً رقم الحفظ : ٥٧٥١
مصورة عن المتحف البريطاني برقم ٢٤٣١
المصدر : فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ١٩٤ .

٢٨ - ديوان ابن المقرب

أولهـا :

أمارات سر الحب لا تتكلمُ　　　وأبين شيء ما يجـن المتيمُ

وآخــرها :

وأتتك من نظـم الكلام جواهـراً　　　يعي الفــرزدق نظمهـــا . . .

نجزت القصيدة، وهي آخر الديوان . . .
نسخة كتبت بخط تعليق في القرن الثاني عشر الهجري تقديراً .
١٢٢ ل ١٩ سطراً رقم الحفظ : ٨٠٦٥

المصدر فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ١٩٥ .

٢٩ - ديوان ابن المقرب

نسخة ناقصة الأول والآخر كتبت بخط نسخي متقن بعضه مشكول أولها :

لا تنسبوني إلى منشاي بينكمُ التربُ تربٌ وفيه منبت الذهبِ

وآخرها :

يا ظالماً جار فيمن لا نصير له إلا المهيمن لا تغتر بالمهلِ

١١١ ل ١٣ سطراً رقم الحفظ : ٢٨١٧

مصورة عن الظاهرية برقم ٦٧٣٤

المصدر : فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ١٩٥ .

٣٠ - شرح ديوان ابن المقرب

لمجهول .

أوله : (قال يمدح الأمير أبا شكر مقدم بن ماجد . . . العيوني :

ولي فيك القوافي سائراتٌ بمدح علاك في جبلٍ وسهلِ

نسخة كتبت بخط نسخ تعليق في القرن الحادي عشر الهجري تقديراً، وعلى ورقة العنوان تملكات، بها آثار رطوبة .

١٨٢ ل ١٨ سطراً رقم الحفظ ٥٧٥٢

مصورة عن المتحف البريطاني ٧٥٩٨

المصدر : فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الصفحة ٢٦١ .

النسخة الرضوية لديوان ابن المقرب الأحسائي

والموجودة في المكتبة الرضوية بمشهد/ الجمهورية الإسلامية في إيران

مطلع القصيدة	أبياتها	طرّة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الهمزة			
كم أرجع الزفرات في أحشائي وإلام في دار الهوان ثوائي	٥٢ بيتاً	في غرض له	
عذل المشوق بهيج في بحائه ويثير نار الوجد في حوبائه	٤٣ بيتاً	وقال أيضاً	
بمعاديك لا بك الأسواءُ ولحسادك الثرى لا الثراء	٢٣ بيتاً	يمدح تاج الدين إبراهيم بن محمود الطباخ .	
هذا الغميم فناد في صحرائه وقف الركاب هنيئةً بفنائه	بيت واحد	غديرية في آل البيت عليهم السلام، ولم يذكر سوى المطلع منها	
قافية الباء			
خذوا عن يمين المنحنى أيها الركبُ لنسأل ذاك الحى ما صنع السرب	٨٢ بيتاً	يمدح الأمير محمد بن ماجد بن علي بن عبد الله بن علي وقد ملك الأحساء من البحرين	٦٠٥هـ
أبى الدهر أن يلقاك إلا محاربا فجرد له سيفاً من العزم قاضبا	٥٩ بيتاً	وقال أيضاً ببغداد	٦٠٥هـ
دع الكاعب الحسناء تهوى ركابها وتبنى له في حيث شاءت قبابها	٥٧ بيتاً	وقال أيضاً ويذكر فيها أهل القطيف وأهل الأحساء، وأسباباً جرت ذلك الزمان	
منال العلا بالرهفات القواضب وسمر العوالي والعتاق الشوازب	٤٧ بيتاً	وقال في الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي شبان – سنان – محمد بن الفضل بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العيوني، وذلك وقت ملكه الأحساء من البحرين وهي ثالث قصيدة قالها	٥٩٩هـ
أتدري الليالي أي خصم تشاغبه وأي همام بالرزايا تواثبه	٥٧ بيتاً	وقال يمدح الأمير أبا سنان، ويكنى أيضاً بأبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي	

سنة إنشائها	طرَّة ومقدمة القصيدة	أبياتها	مطلع القصيدة
			قافية البـــاء
	وقال أيضاً ويعث بها إلى الأمير مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين	٣٧ بيتاً	أأسكت عن مولى الورى أم أعاتبه وأهمل وعدي عنده أم أطالبه
٦٢٠هـ	وله أيضاً قالها بالقطيف	٧٨ بيتاً	إلى كم مناجاة الهموم العوازب وحتام تأميل الظنون الكواذب
	وقال أيضاً في الأمير أبا ؟ شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن مقدم بن ماجد بن محمد؟ بن مقدم بن ماجد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن أحمد بن أبي الحسين بن أبي سنان ؟ ؟	٧٦ بيتاً	بيني فما أنت من جدي ولا لعبي ما لي بشيء سوى العلياء من أرب
	وقال أيضاً يمدح الأمير أبامنصور علي بن ماجد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي، وهو من أول قوله .	٦٧ بيتاً	صدّت فجزت حبل وصلك زينبُ تيهاً وأعجبها الدلال المعجبُ
			قافية التـــاء
	وقال أيضاً في غرض له	٨٧ بيتاً	سُقها فقد ذهب السُرى بسراتها كم ذا ترد النفس عن عزماتها
			قافية الثـــاء
	وقال أيضاً في النقيب تاج الدين إسماعيل العلوي الحسني . . وطلب منه في ذلك شعراً	٣٤ بيتاً	أعيذك أن تسمو إليك الحوادث وأن تتغشاك الخطوب الكوارث
			قافية الحـــاء
	وقال أيضاً يمدح الخليفة الناصر لدين الله أبا العباس أحمد بن الخليفة المستضيء	٦٩ بيتاً	أرتها المآقي ما تكن الجوانحُ فبح فالمعاني للصبابة مايحُ
	وقال أيضاً	١٣ بيتاً	غداً نغتدي للبين أو نتروحُ وعند النوى يبدو الغرام المبرحُ
			قافية الـــذال
	ذكرت عرضاً في طرة القصيدة رقم ٨ وقال أنها ثاني قصيدة قالها في مدح الأمير شكر بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي، وذكر أن الشاعر لم يتذكرها عند كتابة ديوانه، ولم يبق منها إلا المطلع هذا .	بيت واحد	جودي بوصلك يا أميمُ وأسعدي وترفقي بأخي الهوى وتأيدي

مطلع القصيدة	أبياتها	طرّة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الدال			
إلامَ انتظاري أنجم النحس والسعدِ وحتامَ صمتي لا أعيدُ ولا أبدي	٥٩ بيتاً	وقال أيضا وهى مما قاله بالأحساء	
تجافى عن العتبى فما الذنبُ واحدُ وهب لصروف الدهر ما أنت واجدُ	٧٣ بيتاً	وقال أيضاً يعاتب الأمير فضل بن محمد، ويوجعه فيها باللوم . . .	
إلامَ أرجيّ عيش ضر منكدا وأغضى عن الأقذاء جفناً مسهدا	٦٩ بيتاً	وقال أيضا بالأحساء .	
أعيذ مجدك باسم الواحد الأحدِ مما يرقش ذو شؤم وذو نكدِ	٩ أبيات	وقال أيضاً يودع الأمير الكبير أبا شجاع عند خروجه من البصرة، وكتب بها إليه	
بعثت تهدد بالنوى وتوعدُ مهلاً فإن اليوم يتبعه غدُ	٦٥ بيتاً	وقال أيضاً يمدح الأمير عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
العزُّ ما خضعت لهيبته العدا وأقام بالفكر الملوك وأقعدا	٧٧ بيتاً	وقال أيضاً يمدح أبا علي إبراهيم بن عبد الله بن عزيز بن إبراهيم بن أبي جروان عزيز أحد بني أبيرق، وهو عمرو بن عبد الله بن مالك بن عامر .	
خليلاتي من وطاءٍ ووسادْ لا أرى النوم على شوك القتادْ	٥٧ بيتاً	وقال أيضاً بالأحساء يعاتب نفسه، ويذكر الخمول .	
طحا بحر الهموم به فمادا وعوضه من الغمض السُّهادا	٧٩ بيتاً	وقال يمدح الأمير شمس الدين أبا شجاع، وهو رجل تركي كان أميراً على أهل البصرة من قبل الخلافة	
كره اللـه ما تحب الأعادي وأبا ما أراد أهل العنادِ	٤٩ بيتاً	وقال أيضا يمدح باتكين .	٦٢٧هـ
قافية الذال			
أتاني كتابٌ منك عظمت قدره كما عظّمت قدر المسيح التلامذُ	بيتان فقط	بدون	
قافية الراء			
ذريني فضربٌ بالمهندة البتر ولا نوم مثلي يا أميم على وتر	٧٢ بيتاً	وقال يمدح الأمير علي بن ماجد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي، وهو يومئذ أمير الأحساء من البحرين	
رماح الأعادي عن حماك قصارُ وفي حدها عما تروم عثارُ	٣٩ بيتاً	وقال أيضاً يمدح الأمير محمد بن أحمد بن محمد أبي سنان بن الفضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم حين تحالفت عامر على حربه، وهي آخر قصيدة قالها فيه .	٦٠٢هـ

مطلع القصيدة	أبياتها	طرّة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الــراء			
ياشمس ديـن الله كـم لك من يد يثنى بمـا بـاد ويشهد حـاضرُ	٨ أبيات	وقال أيضاً، وكتب بها إلى شمس الدين باتكين أمير البصرة .	
صبا شـوق فحـن إلـى الديـار ونازعـه الهـوى ثوب الوقـار	٣٨ بيتاً	وقال أيضاً في غرض لـه، وهـو عـابر في دجلـة، وسمع صوت حمام يسجعن .	
قسماً بأعـراف الجيـاد الضُمَّر وبمـا أثـرن من العجاج الأكدر	٤١ بيتاً	وقال أيضاً يمدح الأمير الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
بع واسـطاً بالنـأي والهجـر ودع الـمرور بهـا إلى الحشر	٤٩ بيتاً	وقال أيضاً يهجو ابـن الدبيثي ضامن المكوس بواصل . . .	
لا عـز إلا بـحد الصـارم الذكر وضربك الصيد بين الهام والقصر ؟	٤٥ بيتاً	وقال في الأمير أبا سنان ويكنى أيضاً بأبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي .	
ماذا بنـا فـي طلاب العـز ننتظرُ بأي عذر إلـى العليـاءِ تعتـذرُ	٥٧ بيتاً	وقال أيضاً في غرض له .	
أتعبت سمعي بطول اللوم فاقتصر ماذا أهمك من نومي ومن سهري	٥٠ بيتاً	وقال يمدح الرئيس محمد بن عبد الله بن سنان قالها في ذي الحجة .	
قافية الــسين			
يابا شجـاع رعـاك الله من ملكٍ لولاه ما كان هذا الناس بالناس	٢٧ بيتاً	وقال بالأحساء وكتب بها إلى الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة يستعديه . . .	
قافية الــعين			
دع الدار بالبحرين تعفو رسومها وسقها ولـو لم يبـق إلا نسوعها	٥٣ بيتاً	وقال بالأحساء في غرض له .	
ردي مـر الحتـوف ولا تـراعي فما خوف المنيـة مـن طبـاعي	٥٣ بيتاً	وقال يعاتب نفسه ويفتخر .	
إلامَ أورد خطبـاً غيـر مستمع وأنفق العمر بين اليأس والطمع	٤٧ بيتاً	وقال في غرض له .	
غرام أثارته الحمـام السواجـعُ ونار جويً أذكت لظاها المدامعُ	٣٠ بيتاً	وقال يرثي القاضي المستوري، وكان صديقاً له	

مطلع القصيدة	أبياتها	طرة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الفاء			
دعوه فخير الرأي ألا يعنفا فلو كان يشفى داءه اللوم لاشتفا	٦١ بيتا	وقال ببغداد في فخر الدين أبا علي الحسن بن هبة الله الدوامي، وكان قد أسدى إليه معروفا.	
بنى مذ غبت عن عيني ماعرفت غمضاً ولا بتُّ إلا ساهراً دنفا	١٣ بيتا	وقال وقد ساءله شيخ من أهل الموصل . . .	
قافية القاف			
أبر شهودي أنني لك عاشقُ سُهادي ودمعي والغرام الملاصقُ	٩٣ بيتا	وله أيضاً بمدح الأشرف بن العادل	
قافية الكاف			
أمن دمنة بين اللوى والدكادك شغفت بتزراف الدموع السوافك	٦٧ بيتا	وقال يستنجز الأمير أبا ماجد محمد بن ماجد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي ما كان وعده من رد بعض أملاكه الذي اغتصبها .	
قافية اللام			
إليكن عني فانصرفن على مهل فلست بملتاع لهجر ولا وصل	٧٤ بيتا	وقال في غرض له .	
ظننت حسودي حين غالت غوايله يريع إلى البقيا وتطوى حبايله	٦٦ بيتا	وقال في غرض له، ويمدح فيها الأمير الفضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
أفي كل دار لي عدو أصاوله وخصم على طول الليالي أزاوله	٦٠ بيتا	وقال في معنى ما جرى لأملاك بني إبراهيم في ملك أبي القاسم مسعود بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي . . . ورد بها عليه القطيف وأنشده إياها، وسار إلى العراق .	
رويدك يا هذا المليك الحلاحل فما المجد إلا بعض ما أنت فاعل	٧٨ بيتا	وقال يمدح الأمير فضل بن مسعود أبي القاسم بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي .	
ما شيتما يا صاحبي فقولا هيهات لن تجدا لدي قبولا	٦١ بيتا	وقال يمدح شمس الدين باتكين أمير البصرة .	
صداق المعالي مشرق وذابل وسابغة زغف وأجرد صاهل	٧٠ بيتا	وقال يمدح الأمير محمد بن أحمد أبي الحسين بن أبي سنان محمد بن الفضل .	٦٠١هـ
بنانك من مغدودق المزن أهطل وباعك من رضوى ونهلان أطول	٩٢ بيتا	وقال بالموصل يمدح الصاحب كمال الدين أبا الكرم محمد بن علي بن مهاجر . . .	

مطلع القصيدة	أبياتها	طرة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية اللام			
زهت هجر من بعد ما رث حالها وعاد إليها حسنها وجمالها	٣٩ بيتا	وقال أيضا في الأمير محمد بن أحمد أبي الحسين بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
أقيما على حد المدى أو ترحلا فلست براض منزل الهون منزلا	٥٥ بيتا	وقال أيضا في غرض له .	
أفي كل يوم للخطوب أصالي ألا ما لأحداث الزمان ومالي	٧٢ بيتا	وقال أيضا .	
سما لك من أم العبيد خيال ودون لقاها أجرع وسيال	٥١ بيتا	وله أيضا يمدح الأمير الكبير شمس الدين باتكين، وذلك عند انحداره من مدينة السلام .	٦١٤هـ
لذا اليوم أعملت القلاص العياهلا وأبقيتها تحكي المنايا نواحلا	٧٩ بيتا	وقال يمدح الأمير الأجل أبا علي محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
حطوا الرحال فقد أودت بها الرحل ما كلفت سيرها خيل ولا إبل	٦٨ بيتا	وله أيضا يمدح بدر الدين ملك الموصل .	
أميم لا تنكري حلي ومرتحلي إن الفتى لم يزل كلا على الإبل	٤٥ بيتا	وله أيضا مما قاله ببغداد .	٦١٤ هـ
يا ساهر الطرف من خوف ومن وجل نم في جوار الهمام السيد البطل	٦٦ بيتا	وله أيضا في مدح الأمير أبا سنان مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي	
أبا الفضايل يا من في مفاضته بدر وبحر وثعبان وريبال	١٥ بيتا	وقال أيضا وبعث بها إلى بدر الدين صاحب الموصل . . .	
كمال الدين أنت لكل خير وعارفة تفيد الشكر أهل	١٨ بيتا	وقال أيضا وبعث بها إلى الصاحب كمال الدين أبي الكرم بن علي بن مهاجر . . .	
إنزل لتلثم ذا الصعيد مقبلا شرفا وإجلالا لمولى ذا الملا	٣٩ بيتا	وله أيضا يودع بدر الدين حين أراد الخروج من الموصل .	
بالسيف يفتح كل باب مقفل وتحل عقدة كل أمر مشكل	٦٥ بيتا	وله أيضا يمدح الأمير أبا عبد الله الحسين بن مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي	
قافية الميم			
حمى النوم عن عيني صوت الحمائم وعلمني النوح أذكار العالم	بيت واحد	ذكرت عرضا في طرة القصيدة رقم ٨ وقال أنها أول قصيدة قالها، في مدح الأمير شكر بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي، وذكر أن الشاعر لم يتذكرها عند كتابة ديوانه، ولم يبق منها إلا المطلع هذا	

مطلع القصيدة	أبياتها	طرة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الميم			
أمارات سر الحب ألا يكتم وأبين شيء ما يجن المتيم	٦٣ بيتا	وله أيضا يمدح الخليفة الناصر لدين الله . . .	٦١٤هـ
إلى كم مداراة العدا واحترامها وكم تعترينا ضيمها واهتضامها	٨٣ بيتا	وله أيضا في الحرب التي جرت بين البدو وبين أهل الأحساء في زمان أبي القاسم . . .	
كتاب مشوق ما تغنت حمامة من الورق إلا جن شوقا إليكم	٣ أبيات	وله أيضا صدر كتاب إلى أهله، وكان بالمحرزي من بلاد البصرة .	
ألم يأن أن تنسى عسى ولعلما وتترك ليتا للمعنى وربما	٦٠ بيتا	وله أيضا .	
بسمر القنا والمرهفات الصوارم بناء المعالي واقتناء المكارم	٦٩ بيتا	وله أيضا يمدح بدر الدين لؤلؤا ملك الموصل – نسخة صاحب الموصل – ؟	
صعود العلى إلا عليك حرام وعيش سوى ما أنت فيه حمام	٨٢ بيتا	وقال يمدح الأمير عماد الدين أباعلي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي . . .	
أيدي الحوادث في الأيام والأمم أمضى من الذكر الصمصامة الخذم	٤٧ بيتا	وقال يرثي الرئيس الحسين بن عبد الله بن أحمد، وكان صديقا له، وبينه وبين أهله مودة وصداقة وخلطة .	
إلام أناجي قلب حيران واجم وأنظر عودي بين لاح وعاجم	٥٦ بيتا	وقال أيضا يمدح الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين .	
عني إليك حوادث الأيام ماكل يوم يستطاع خصامي	٦٠ بيتا	وقال يمدح الأمير أبا ماجد فاضل بن معن بن شبيب بن جعفر بن فضل بن عبد الله حين ملك القطيف بعد الأمير ابي شكر مقدم بن ماجد، ويذكر فيها مقدما	
تسلطن بالحدباء عبد للؤمه بصير بلى عن كل مكرمة عم	بيتان فقط	وقال يهجو بدر الدين صاحب الموصل . . .	
قالوا الدبيثي ذو قواف محكمة النظم مستقيمه	٤١ بيتا	وقال يهجو ابن الدبيثي	
أبت لك العزة القعساء والكرم أن تقبل الضيم أو ترضى بما يضم	٤٣ بيتا	وقال يمدح الأمير الأجل فضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، وهو أول ما قال فيه لما ملك القطيف .	٦٠٦هـ
قم فاشدد العيس للترحال معتزما وارم الفجاج بها فالخطب قد فقما	١٥٠ بيتا	وقال أيضا يفتخر بآبائه وأهل بيته، ويذكر طرفا من أيامهم وفضائلهم . . . قالها ببغداد .	٦١٣هـ

مطلع القصيدة	أبياتها	طرّة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية الميـــم			
أنخ فهذي قباب العز والكرم وقل فكل العلا في هـذه الخيم	٦٩ بيتا	وقال أيضا يمدح الأمير أبا علي محمد بن مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	
رويـدا بعض نوحك يا حمام أجـدك لا تنـيم ولاتنـام	٦٣ بيتا	وقال أيضا يمدح الشيخ الأجل أبا أحمد علي بن أحمد بن عزيز بن إبراهيم بن عزيز - أبي جروان - بن سعيد بن عتاب بن أحمد لن أبيرق عمرو بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس . . .	
ألقـت إليـك مقادهـا الأيـام وأمدك الإجـلال والإعظـام	٢٢ بيتا	وقال ببغداد عند خروج الحاج يودع . . .	
قم فاسقنيها قبل صوت الحمام كرميـة تجمـع شمل الكـرام	٥٢ بيتا	وقال يمدح الأمير الكبير شمس الدين أباشجاع باتكين بعد رجوعه، وكان قد صعد مع الحمل إلى واسط، ورجع .	
يـا مالك الخير عليك السـلام أتـاك شـيخ من أظـل الأنـام	٨ أبيات	وقال وقد جلس إلى جماعة، وفيـهم رجـل يشتكي وجعا . . .	
ألا قـل لمن أزهقتـه الذنـوب وخاف من الدهر خطبا جسيما	١٠ أبيات	وقال أيضا في غرض له .	
أنخ فهذي قباب العـز والكرم وقل فكل العـلا في هذه الخيم	٦٥ بيتا	وقال يمدح الأشرف بن العادل .	
من ذا أفتـاك بسـفك دمي يـا غـرة حي بني جشـم	٥٢ بيتا	وقال أيضا يمدح الأمير أبا سنان وهو يكنى أيضا بأبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي .	
قافية النـــون			
ألا رحـلت نعم وأقفل نعمان فبم بأسى إن عز صبر وسلوان	٥٨ بيتا	وقال يمدح الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد .	
أظنك خلت الشوق والنأي أبكـاني فأقبلت تحوي يابس الدمع تلحاني	٥٣ بيتا	وقال يرثـي ابن عمـه مذكور بن عبد الله بن منصور وكان . . .	
ما أنصف الطلل العافي بماوانا لم يشجه يوم سلمنا وأشجانا	٨٠ بيتا	وقال يمدح الأمير فضل بن محمد، ويرثـي والده محمد بن أبي الحسين بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي .	

مطلع القصيدة	أبياتها	طرّة ومقدمة القصيدة	سنة إنشائها
قافية النـــون			
بعض الذي نالنـا يادهـر يكفينـا فامنن ببقيـا وأودعهـا يـدا فينا	٦٢بيتا	وقال يفتخر، ويذكر طرفا من أيامهم .	
سأيل ديـار الحي من مـاوان ما أحـدثت فيهـا يـد الحدثـان	٥٧ بيتا	وقال يمدح الأمير محمد بن أحمد أبي الحسين بن محمد أبي سنان بن الفضل بن عبد الله بن علي	
على م وفي م ظلمـا تلحيـاني ذراني لا أبـا لكمـا ذراني	٧٢ بيتا	وقال في غرض له، ويفتخر في آخرها	
كم بالنهوض إلى العلا تعداني نامـا فما لكمـا بذاك يـدان	٩٥ بيتا	وقال بمدينة القطيف بعد خروجه من الأحساء	
قافية الهـــاء			
ترا حيث أعلام العيـون تراهـا فخـلوا لأعنـاق المطي براهـا	٤٧ بيتا	وقال يمدح الأمير شمس الدين باتكين . . .	
يخفي الصبابـة والألحاظ تبديها ويظهر الزهد بين الناس تمويها	٦٥ بيتا	وقال في النقيب تاج الدين اسماعيل . . .	
قافية اليـــاء			
أبت نـوب الأيـام إلا تماديـا فـوا شقوتـا ما لليـالي وما ليـا	٥٨ بيتا	قالها في الأحساء في غرض له .	

ومجموع القصائد والقطع الشعرية المذكورة في هذه النسخة ٩٧ قصيدة وقطعه ومطلعا